الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة
Emir Abdelkader University of Islamic sciences
Constantine

Faculty:		أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية	كلية:
Departement:		الجذع المشترك	قسم:

عنوان المطبوعة

Title of the Dissertation

☑ مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة:	☑ السداسي:
Academic Pedagogical Publication Addressed to: سنة أولى جذع مشترك ل م د	Semester:

Domain:		تاريخ الأديان	☑ الميدان:
Field or subfield:			☑ الشعبة:
Specialization:		علوم إسلامية	☑ التخصص:
Submitted by:		عبد القادر بخوش	إعداد الأستاذ(ة):

Submitted by: ---------- اعداد الأستاذ(ة): عبد القادر بخوش

السنة الجامعية (Current Academic Year): 2009 / 2008

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية

مقياس تاريخ الأديان

الأستاذ الدكتور/ عبد القادر بخوش

مطبوعة موجهة لطلبة السنة الأولى

جذع مشترك علوم إسلامية

نظام ل،م،د

السنة الجامعية 2009/2008

الجزء الأول: مدخل إلى تاريخ الأديان

أولا /ماهية تاريخ الأديان :

لم يكن مصطلح تاريخ الأديان أو مقارنة الأديان حاضرا في الدراسات الإسلامية القديمة ،فهو مصطلح حديث النشأة، يعود تاريخ ظهوره إلى القرون الثلاثة الأخيرة نسبيا، بعد أن برزت الحاجة إلى تمييز هذا العلم عن العلوم اللاهوتية العامة من جهة وسعيه إلى مقارنة الظواهر الدينية المختلفة فيما بينها من جهة أخرى(1).أما مادة هذا العلم فهي أصيلة وغزيرة في الفكر الإسلامي وردت مبثوثة فيما عرف في مجال العلوم الإسلامية بعلم الملل والنحل .

لقد كان لعلم الملل والنحل، منذ ظهوره في العالم الإسلامي، دور هام في الانفتاح على الشعوب والأمم، وشكل آداة للتواصل معها على أساس من المعرفة المباشرة .فصنفت فيه مؤلفات وتخصص فيه رهط من العلماء المسلمين بحثا ونقدا، مستخدمين مناهج مختلفة في تناول الأديان تنهل جميعها في فهمها و أسسها المنهجية من معين التصور القرآني حول الأديان المختلفة.

للقرآن الكريم الفضل في تأصيل النظرة العلمية لدراسة الأديان والتي تنطلق أصلا من وحدة المصدر بالنسبة للرسالات السماوية، فهي في الأصل رسالة واحدة بشر بها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين.وقد حفزت هذه النظرة العالمية للدين العقول الإسلامية للاهتمام بتاريخ الأنبياء والإسرائيليات ،إلى جانب أنها أطلقت العنان لرصد آراء الملل والنحل.

ومع ما انفرد به العصر الحديث من ثراء للعلوم وتنوعها تآزرت على دراسة الأديان حتى اتسعت دائرة هذا العلم في القرن العشرين-ليشمل تاريخ الأديان وفلسفة الدين وعلم الاجتماع الديني وعلم نفس الدين فينو منولوجيا الدين(2) أضحت أقسام أو حقول لعلم الدين المقارن-، فإنها تتفق جميعها على نسق غربي واحد و على أدواته المعرفية من أجل الإقرار على مركزية معرفية أحادية مهيمنة مما يجعل البون شاسعا بينها وبين علم الملل والنحل في القضايا والمناهج والأهداف.

1- Maurice vernes histoire des religions paris leroux Editeur 1887 p10.

2 C.J Bleeker , Comparing the Religion-Historical And The Theological Method (NVMEN , vol xv III , Leiden. E. J . Brill 1971) PP9-29.

إن الدراسات الدينية المقارنة الغربية تتميز بمحاولتها في إضفاء طابع البداهة و صبغة العلمية المطلقة و الحتمية على موضوعاتها،بينما أكثرها لا تزيد عن كونها أفكارا مبتورة و أنماطا خاصة تخلف تشويشا معرفيا ناهيك عن الشعور بالإقصاء الذي ينتاب المجتمعات غير الغربية.

و نأمل أن يساهم هذا البحث في بيان القصور المنهجي في هذا الحقل المعرفي، برصد ملامح التسلل الإيديولوجي الغربي ومحاولته بسط هيمنته على هذا اللون من الدراسات، ناهيك عن التجاهل والمصادرة المعرفية عن وعي أم عن غير وعي لما أنتجته القرائح البشرية عبر العصور في هذا المجال.

كما يحدونا الأمل بغية إحياء التراث الإسلامي لعلم الملل والنحل لا يزال مغمورا أو متجاهلا بسبب نظرة التوجس والحذر التي]ينظر بها إليه من قبل لفيف من التيارات الفكرية المنغلقة في العالم الإسلامي.

إن عملية التأصيل هذه لا ينبغي أن تتم من خلال مركزية متحيزة معرفية مترديه في الانغلاق والجمود بل من خلال الانفتاح والاستيعاب الواعي لمفاهيم الآخرين .وما يعزز ذلك ما انفردت به الحضارة الإسلامية من تعايش أصحاب الملل والنحل المختلفة في كنفها ردحا من الزمن لا نكاد نعثر عليه في مثلها، مع إمكانية استثماره لفائدة البشرية نقوض ادعاء التخوف من new-phobie التي روجت لها بعض الأطروحات الدينية الغربية.

ثانيا / أصالة علم مقارنة الأديان في التراث الإسلامي

إن الفكر الإسلامي مدعو في العصر الحاضر أن يبين صورة الإسلام النقية ومعالمه في عقول أتباعه، ثم يرفع اللبس و الغموض الذي يكتنفه عند الآخرين من جراء الحملات العدائية المستمرة التي تثير شكوكا وشبهات حول أصالة بعض العلوم الإسلامية علاوة على فضحها و كشف زيفها.

إن التطلع لمعرفة على هذا المستوى المسؤول يتطلب من الفكر الإسلامي المعاصر أن ينتقل من مرحلة الوعي بالذات إلى مرحلة اكتشاف الذات وتقييمها ،مرحلة تشكيل استراتيجية قوامها إبراز مختلف العلوم الإسلامية وبعثها من جديد .

إن اهتمام علماء الإسلام الأوائل بهذا العلم أمر لا جدال فيه،حيث نشطت الحركة الجدلية بين المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات المختلفة وتفاقمت حتى أسفرت عن ميلا د علم إسلامي جديد هو علم مقارنة الأديان الذي تكفل بدراسة الأديان الأخرى لتعريف المسلمين بها، فيزدادوا إيمانا بأحقية الدين الإسلامي وهيمنته على الأديان الأخرى. ولكي يقدم الإسلام لغير المسلمين في صورة مقارنة مع ما يعتقدونه، مما يثير الشكوك في عقائدهم ويفتح الطريق أمامهم لتقبل

الإسلام،وهم في ذلك ملتزمون بمنهج القرآن في دعوة أصحاب الديانات، فالقرآن الكريم يعود إليه الفضل في تحفيز العقل الإسلامية على الحوار وإيقاظ روح البحث فيه.

قدم القرآن الكريم الإطار العلمي والمنهجي لدراسة الكتب المقدسة ونقدها،وحفل بالحديث المفصل عن كتب اليهود والنصارى وعرض العقائد والملل و المذاهب المختلفة وبين مزاعمهم باستقصاء دقيق، ثم ناقشها وبين الزيف و الخطأ فيها، وقارن بينها وبين الدين الصحيح الذي أرسل الله به رسله.

قال تعالى :(يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم و روح منه فآمنوا بالله ورسله و لا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا)(3).

أرسى القرآن الكريم القواعد الأساسية في نقد الأديان ، وأعطى أصولا علمية منهجية لنقدها، تمكن علماء الإسلام بفضلها من الوصول إلى نتائج باهرة، فنشأت الحركة النقدية الإسلامية القائمة على المنهج العلمي التاريخي الرصين، وعلى الموضوعية التي يمكن الوصول بها إلى الحق.

وأفضى هذا إلى استخدام المنهج النقدي التاريخي الذي أسهم في تأسيس قواعد نقد الروايات والمتون نقدا خارجيا و داخليا، وبالتالي كان الفضل لعلماء الإسلام في إيجاد علم مقارنة الأديان.

يقول عبد الله دراز :(إن الحديث عن الأديان بعد أن كان في العصور السابقة لها مغمورا في لجة الأحاديث عن شؤون الحياة ، وإما مدفوعا في تيار البحوث النفسية أو الجدلية ،أصبح في كتاب العرب دراسة وصفية واقعية معزولة عن سائر العلوم والفنون، شاملة كافة الأديان المعروفة في عهدهم ،فكان لهم السبق في تدوينه علما مستقل)(4).

فالمسلمون إذا كانوا سباقين لوضع أسس علم مقارنة الأديان ونقد الكتب الإسلامية، وهذا عكس ما ذهب إليه بعض الباحثين بأن الحركة النقدية للكتاب المقدس بدأت منذ مطلع القرن التاسع عشر للميلاد، بفضل سبينوزا وغيره.

إن الباحثين المسلمين انتهوا –بتأثير مباشر من القرآن– بدراسة أديان الأمم، و التنقيب عن عقائدهم و طقوسها ، وألفوا لهذا الغرض كتبا مختصة، وفصولا مطولة في مصنف اتهم فهذا كمال الدين بن يونس الشافعي (5)يقول فيه ابن خلكان :(

---

3 سورة النساء، الآية 171.

4 الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، (الكويت: دار القلم، 1982م)، ص21

5ابن يونس هو العلامة شرف الدين أبو الفضل أحمد بن الشيخ الكبير كمال الدين موسى، ابن الشيخ رضي الدين يونس، بن محمد الإربلي، ثم الموصلي الشافعي، صاحب شرح التنبيه، مات في سنة 622هـ، أنظر الذهبي ، تهذيب سير أعلام النبلاء، ج3، ص206.

إن أهل الذمة من اليهود والنصـــارى كانوا يقرؤون عليه التوراة والإنجيل فيفســـرها لهم ، وكانوا يعترفون بأنهم لا يجدون من يوضحها لهم مثله)(6).

وهكذا كان علماء الإسلام يستمدون خصائص كل ديانة من مصادرها الموثوق بها ، ويستقونها من منابعها الأولى ،و يدونونها علما مستقلا اتخذوا له منهجا علميا سليما .فمما لا شك فيه أن ابن حزم يعود إليه فضل الأسبقية في هذا العلم و تطبيقه لمنهج صـــارم في نقد الكتاب المقدس ،مما حدا ببعض الباحثين الغربيين على اعتباره مؤســس علم مقارنة الأديان بلا منازع ، وإن كتابه الفصل في الملل والأهواء النحل أشهر ما صنف في هذا الباب ولذلك حظي ابن حزم في الغرب بهالة من التقدير و الإجلال(7).

يؤكد الأستاذ أحمد شلبي بأنه في منتصف القرن الهجري الثاني ، عندما طفق المسلمون يكتبون الفقه و التفسير و الحديث ، عمدوا كذلك إلى الكتابة في علم مقارنة الأديان فهو بذلك علم إسلامي ينتمي إلى حظيرة العلوم الإسلامية(8).

ومن مشـاهير العلماء الذين اهتموا بهذا العلم النوبختي ت 202هـ في كتابه الآراء والديانات ويليه المسـعودي ت 364هـ كتب كتابه إدراك البغية في وصـف الأديان والعبادات ، وهو كتاب مطول يقع في ثلاثة آلاف ورقة. ومن أبرز الكتب التي كتبت عن الملل و النحل كتاب أبي المنصـور البغدادي ت456هـ وكتاب الملل والنحل للشـهرسـتاني ت 548هـ وكذلك كتاب تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل مرذولة لأبي الريحان ألبيروني (9).

وهكذا اهتم المسلمون بدراسة مقارنة الأديان ، ولكن سرعان ما لاحت عصور الانحطاط التي لحقت المسلمين حتى اتجه كثير من الفقهاء إلى التعصب لمذاهبهم الفقهية فانحصر أو انعدم اشتغالهم بالأديان الأخرى وتعاليمها.

وإذا كان المسلمون في عصر الانحطاط قد أهملوا مقارنة الأديان ،فعلى العكس من ذلك طفق المسيحيون على دراسة هذا العلم ، وقد حفزهم على ذلك تلك اللقاءات السلمية بين المسلمين والمسيحيين في الشام والأندلس التي عرفت المسيحيين بمقارنة الأديان.

وعندما جاء الاستعمار استعان بعلم مقارنة الأديان واستعان به المبشرون في نشر المسيحية من جهة، وتشويه صورة الإسلام من جهة أخرى.

---

6 أبو حامد الغزالي، الرد الجميل على ألوهية المسيح، تحقيق محمد عبد الله الشرقاوي (القاهرة: دار الهداية، ط2، 1988)، ص18.

7 انظر اعترافات بعض الباحثين الغاربين لابن حزم بالريادة والسبق و اكتشاف علم مقارنة الأديان، انظر محمود علي حماية ، ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان (القاهرة : دار المعارف، ط1، 1983)، ص7-8.

8 أحمد شلبي، اليهودية (القاهرة: ط7، 1984)، ص27

9 المرجع نفسه، ص27-28

وما إن أطل العصر الحديث حتى تبنى الفكر الغربي علم مقارنة الأديان معلنا نسبته عنوة إليه نشأة ومنهجا وموضوعا ،شأنه في ذلك شأن علوم عديدة، وبذلك دخل هذا العلم إلى عهد جديد، غدا فيه المنهج الغربي سمة بارزة للدراسات العلمية الجادة وما عداها ليس إلا ضروبا من الأوهام والخرافات.

ثالثا/نشأة علم مقارنة الأديان:

إن الفكر الغربي تغاضى عن إسهامات علماء الإسلام في مجال مقارنة الأديان شأنه في ذلك شأن العلوم الإنسانية الأخرى،لذلك نجده فقد تبنى هذا العلم ونسبه إلى علمائه ، وفي محاولة الفكر الغربي تتبع نشأة علم مقارنة الأديان انقسم إلى اتجاهين.

الاتجاه الأول/ يرجع أصحاب هذا الاتجاه نشأة علم مقارنة الأديان إلى كتب تاريخ الأديان القديمة ،فغزو **الاسكندر ألملك دوني** للشرق زودنا بمعلومات أولية عن ديانات الشعوب التي خضعت لحكمه، هذه معلومات وردت متفرقة في كتابات أر سطو وبعض المسيحيين الأوائل الذين دأبوا على رواية مآثرهم ومثالب خصومهم فوضعوا شروحا ونظريات تبين الفرق بين المسيحيين وغيرهم من يهود أو وثنيين مع تعليل ومقارنة ، وغرضهم هو الترويج لدينهم و الدفاع عنه، إن من مبادئ المسيحية تحديد موقفها المبدئي من الديانات الأخرى مما يحدد طريقة تعامل المسيحي مع أبناء الديانات الأخرى غير المسيحية وقد أبان عن ذلك المبدأ بولس في رسالته إلى أهالي روما (10).

الاتجاه الثاني/ يعزو أصحاب هذا الاتجاه نشأة علم مقارنة الأديان إلى كتابات مرتبة ومتناسقة ظهرت في أوروبا بعد القرن السابع عشر، والمعلومات التي وردت قبل هذا التاريخ غصت فقراتها بالقصص والخرافات المضللة المتطرفة ،جاءت على شكل حكايات لبعض الرحالة . ومن الكتابات المبكرة : ما ذكره **كليمنت الإسكندري** ويظهر أنه كان على اطلاع على البوذية فقد بين أن هناك تأثيرا فنيا يونانيا على الفنون الهندية و الفن البوذي ولكنها في عمومها ناقصة.

وفي القرن السابع عشر ظهر **اللورد هربرت تشير بري** المتوفى عام 1648 ليمهد لدراسة مقارنة الأديان بشكل علمي ومن الذين كتبوا في هذا الموضوع **جون لوك** 1632ـــ1704و:**سيسرو، بلوت أرخ، سلوتن**، وكانت كتابتهم عن طبيعة الكهانة و القداسة في العالم اليوناني الروماني وفي خضم المناقشات المؤيدة والمعارضة لعلاقة الدين بالسلطة تبلورت نظريات مبدئية بخصوص موضوع مقارنة الأديان و تاريخها، ومع مطلع القرن التاسع عشر أضحى علم مقارنة الأديان في الفكر الغربي حقلا علميا مستقلا(11).

---

10 أ.س بوكيت أميريكن، مقارنة الأديان، ترجمة :رنا سامي الخش (سوريا : حلب ، دار الرضوان)، ص11.

11 المرجع نفسه، ص12.

هكذا يتم تأريخ علم مقارنة الأديان بطريقة منحازة تغض الطرف عن ما خلفه علماء الإسلام بصفة خاصة من مؤلفات و ما تفردت به من فضائل جمة حيث أفلحت في تقديم صورة شاملة لهذا العلم ،لا يخص الدين الإسلامي فحسب بل العالم بأجمعه،حيث حفظت تاريخ الأديان من الضياع والتلف، ولا تزال كتب الملل والنحل خير ما أنتجته القرائح البشرية في تلك العصور وأضحت من الروائع العالمية التي حرص العلماء على العناية بها فترجمت إلى لغات عديدة.

يعد **بوكيت أميريكن** نموذجا للباحثين الغربيين المتخصصين في مقارنة الأديان ففي ثنايا عرضه لمصادر هذا العلم يسقط أهم المصادر الإسلامية في الموضوع، ويكتفي بذكر الكتابات الشرقية القاديانية ويعلق عليها بقوله: (إن من دواعي الأسف فإن هذه الكتابات مضللة لأنها مغالطة ومنحازة) ويضيف قائلا :(ولو أن هذه المواضيع كتبت من قبل كتاب أوروبيين لما وجد فيها مغالطة أو انحياز ... إن الأوروبيين اكتشفوا عظمة الديانات الشرقية ليس من أجل أنفسهم بل أيضا من أجل الشرقيين الذين لم يعرفوا القيمة العالية لدينهم كما عرفناها نحن)(12).

فالنظرة الغربية تصر على أن علم مقارنة الأديان صناعة أوربية خالصة وما يعزز ذلك الرحلات الأوربية التي فتحت أمام الأوروبيين مناطق واسعة من العالم وشقت لهم الطريق للحصول على معلومات وفيرة ومفصلة في هذا المجال لأن المحرض إلى ذلك الدعاية المسيحية أو الحماس العلمي(13).

تتناسى هذه النظرة المتحيزة أن الدراسات الدينية للشعوب قامت بالأساس من أجل غايات استعمارية بعيدة عن الموضوعية.فمع غزارة مادتها و تشعبها من حيث الكم والكيف .فإن ما يميزها في أواخر القرن الثامن عشر و أوائل القرن التاسع عشر فترة تشكل أرضية الاستشراق المعاصرة هو أنها أضحت تمثل مؤسسة استراتيجية بدأت تنتظم في نسق واحد يعتمد تقنيات ومناهج محددة ، حيث ازدادت فيه أهمية المعرفة.المنظمة بالشرق، وهي معرفة دعمتها المواجهة الاستعمارية،فافتضح أمر هذه الدراسات وانكشفت نواياه(14). وهو ما جعل إدوارد سعيد لم يتردد في وصفها بأنها أسلوب غربي للسيطرة على الشرق وامتلاك السيادة عليه(15).

رابعا/ تعريف مصطلح الدين :

---

12 المرجع نفسه، ص14.

13 المرجع نفسه، ص12.

14رودي بارت، الدراسات العربية و الإسلامية في الجامعات الألمانية، ترجمة مصطفى ماهر، (القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1967)، ص103.

15إدورد سعيد، الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ط4، 1995)، ص231-232.

16-T.jerenny Gunn. the Complexity of Religion and the Definition of Religion in International Law (Harvard Human Rights Journal .vol 16 s 2003 issn 1057-1607)

إن نزعة التدين نزعة مغروسة في أعماق النفس البشرية فالغريزة الدينية مشتركة بين الأجناس البشرية حتى أشدها همجية وبدائية، وإن التطلع فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة الإنسانية ،لقد وجدت جماعات إنسانية بدائية من غير علوم وفنون وحضارات ولكنه لا نكاد نعثر عن جماعة بشرية بغير ديانة.

فالدين ظاهرة إنسانية عامة شاملة ملازمة للإنسان حيثما وجد ،أقرت به معابد و أهرامات ودور مقدسة ، كما شهدت به بقايا ما قبل التاريخ بما حوته من نقوش ورموز وآثار ذات صبغة دينية.

إن المتتبع للظاهرة الدينية عبر التاريخ ليجدها أكثر تعقيدا وتشعبا تتشابك فيها مفاهيم عديدة تختلف من دين إلى آخر، يتعذر فيها حصر الدين في قالب واحد دون الإحاطة بكل الأديان ومعرفة ماهيتها وخاصيتها.

ولقد نرى كيف انعكست الحيرة في تعاريف الدين على المحاولات العديدة التي بذلت لتأسيس مفهوما صحيحا له تراعي المقومات الأساسية المشتركة في كل الأديان وتراعي عدم الالتزام بدين معين.

وتتخذ مسألة التعريف خطورتها عندما يكون لها تأثيرا سلبيا على إرساء قوانين دولية تحاول أن تصبغ جميع الأديان بصبغة واحدة .ومع الكم الهائل من الاقتراحات التي قدمت لحل مشكلة تعريف الدين بما يتفق عليه جميع الأديان إلا أنها مازالت بعيدة عن تحقيق المراد من إرساء إطار مشترك تجتمع حوله الأديان**16**.

وسنحاول لاحقا تتبع كلمة الدين في الفكر الإسلامي والفكر المسيحي

1- **معنى الدين في الفكر الإسلامي:**

2- يجدر بنا في البداية أن نتتبع كلمة الدين لغة مما قد يفيدنا في إعطاء صورة عامة عن الإطار الذي تشكلت في ضوئه جملة التعاريف المختلفة للفظ الدين في الفكر الإسلامي

المعنى اللغوي للدين:

تنطوي كلمة الدين على معاني عديدة ومتشعبة حتى يبدو لك أنه يستعمل في معاني متباعدة بل متناقضة.فالدين هو الملك وهو الخدمة هو القهر هو الذل هو الإكراه هو الإحسان هو العادة والعبادة هو والسلطان وهو الخضوع هو الإسلام والتوحيد وهو اسم لكل ما يعتقد أو لكل ما يتعبد به**17**.

وتبعا لهذا التباين والاختلاف في تحديد معنى الدين لغة أثيرت مسألة عدم أصالة هذه الكلمة في اللغة العربية وأنها دخيلة من لغات كالعبرية أو الفارسية.

والمتصفح في اشتقاق هذه الكلمة ووجوه تصريفها يستشف من هذا الاختلاف الظاهر تقاربا شديدا ، بل توافقا و انسجاما في جوهر المعنى ،إذ يجد أن تنوع هذه المعاني مرده إلى ثلاثة مضامين تكاد تكون متصلة باعتبار أن الكلمة التي يراد شرحها ليست كلمة واحدة ، بل ثلاث كلمات ، أو بعبارة أدق أنها تتضمن ثلاثة أفعال بالتناوب.

إن كلمة الدين تأتي مرة من فعل متعد بنفســـه دانه يدينه، وأحيانا من فعل متعد باللام:دان له، وتارة من فعل متعد بالباء:دان به، وباختلاف الاشتقاق يختلف المضمون الذي تعطيه العبارة.

1- إذا قلنا دانه دينا قصدنا بذلك أنه ملكه ،وساسه وقهره، وحاسبه، وجازاه وكافأه.فالدين هنا يأخذ معنى الجلال و الملك و التصـــرف بما هو ميزة الملوك من الملك والتصـــرف.ومن ذلك :مالك يوم الدين أي يوم المحاســـبة والجزاء. وفي الأثر الكيس من دان نفســـه وعمل بعد الموت أي حكمها وضبطها، والديان الحكم القاضي.

17-ابن منظور،لسان العرب، بيروت :دار الجيل ودار لسان العرب 1988 ج 2 ص1044

2- و إذا قلنا دان له بمعنى أطاعه وخضـع له .فالدين هنا هو الطاعة والخضـوع والعبادة.كقوله تعالى إنا لمدينون أي مملوكون.

وواضح أن هذا المعنى الثاني ملازم للأول ومطاوع له دانه فدان له، أي أجبره على الطاعة فخضع وأطاع.

3- وإذا قلنا دان بالشيء بمعنى أنه اتخذه دينا ومذهبا أي اعتقده أو اعتاده أو تخلق به. فالدين هنا هو المذهب والطريقة التي يلتزم بها الشـــخص نظريا أو عمليا.تقول العرب : مازال ديني وديدني أي عادتي ، والمذهب النظري عنده هو عقيدته ورأيه الذي يعتنقه، ومن ذلك قولهم

تأكيدا على هذه المعاني اللغوية فإن كلمة الدين عند العرب تتضمن علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ويخضع له، فإذا وصـف بها الطرف الأول كانت خضـوعا وانقيادا وإذا وصـف بها الطرف الثاني كانت أمرا وسـلطانا، وحكما وإلزاما ، وإذا وصف بها إلى طبيعة العلاقة بين الطرفين كانت هي الطريقة المنظمة لتلك العلاقة، أو الشكل الذي يمثلها.

إن محاولة تحديد مفهوم الدين لغة يضـعنا أمام مجموعة مرادفات تصـب بشـكل أو بآخر في نفس الاتجاه والذي ينصـب حول لزوم الانقياد ففي الاستعمال الأول هو إلزام الانقياد، وفي الاستعمال الثاني هو التزام الانقياد، وفي الاستعمال الثالث هو المبدأ الذي يلتزم الانقياد له18.

تأكيدا لما سبق ذكره فإن كلمة الدين بكل معانيها أصيلة في اللغة العربية،وأن ما ادعاه بعض المستشرقين من أنها دخيلة معربة عن العبرية أو الفارسية لا يعد صحيحا.

مع أن هذه التحليلات الاشتقاقية كلها تصب في نفس الاتجاه وتقر بأصالة المعنى في اللغة لكنها لا تشفي غليلنا في معرفة حقيقية لماهية الدين كما هي في عرف المتدينين ،فالبون مازال شاسعا برأي الدكتور **عبد الله دراز** بين المعنى اللغوي والمعنى العرفي ذلك أنه ليس كل

18-محمد عبد الله دراز،الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان الإسكندرية:دار المعرفة الجامعية،1990،ص 23-25.

خضوع وانقياد يسمى في العرف تدينا،فخضوع العبد لسيده وطاعة الابن لأبيه وإكبار
الخادم لمسئوله لا يجسد بأي معنى الدين الذي نعنيه ،كما أنه ليس كل اتجاه أو مذهب يسمى دينا.
فإذا كان هذا شأن الدين في اللغة ، فكيف يكون حاله في اصطلاح الفكر الإسلامي؟

ثمة ملاحظة جديرة بالتذكير، وهي أن الفكر الإسلامي ليس هو الإسلام المثل بالمثل، بل هو ما أبدعته العقلية الإسلامية في محاولتها لإسقاط الإسلام على الواقع وتطبيقه، فهو بذلك محكوم بالأطر الزمانية والمكانية.

فالفكر الإسلامي هو اجتهاد عقلي في فهم النصوص قد يخطئ و يصيب فهو غير معصوم في ذلك كله، الفرق بين الإسلام و بين الفكر الإسلامي هو الفرق بين ما نسب إلى الله و ما ينسب للإنسان، والعلاقة بينهما هي علاقة بين طرفين أحدهما قام على الآخر واعتمد عليه ، ولكن لا على أن يكون مطابقا له تمام التطابق19.

جاء في تعريف **إخوان الصفا** بأن الدين <هو شيئان اثنان أحدهما الأصل وملاك الأمر، وهو الاعتقاد في الضمير والسر. والآخر هو الفرع المبني عليه القول والعمل في الجهر و الإعلان>**20**.

لقد أوضح **الجرجاني** وبشكل جلي الفرق بين الدين والملة فهما عنده متحدان بالذات، ومختلفا بالاعتبار،فإن الشريعة من حيث أنها تطاع تسمى دينا ، ومن حيث أنها تجمع تسمى ملة، ومن حيث أنها يرجع إليها تسمى مذهبا.وقيل الفرق بين الملة والدين والمذهب: أن الدين منسوب إلى الله تعالى والملة منسوبة إلى الرسول ، والمذهب منسوب إلى المجتهد**21**.

أما أشهر تعريف للدين في الفكر الإسلامي وأكثره تداولا ما نسب إلى **التهانوي** في قوله :<بأنه وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إياه إلى الصلاح في الحال والفلاح في المآل، وهذا يشتمل العقائد والأعمال، ويطلق على ملة كل نبي، وقد يخص بالإسلام كما في قوله تعالى إن الدين عند الله الإسلام ويضاف على الله عز وجل لصدوره عنه وإلى النبي لظهوره منه وإلى الأمة لتدينهم به و انقيادهم له>22.ويمكن تلخيصه بأن الدين هو وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات وإلى الخير في السلوك والمعاملات.

19-- محمد الغزالي ، ليس من الإسلام (القاهرة: مكتبة وهبة، ط6، 1993) ص137.

20- رسائل إخوان الصفا،244/7.

21-الجر جاني،التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري،بيروت: دار الكتاب العربي،2002،ص 90.

22-التهانوي،كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ،بيروت :مكتبة لبنان ناشرون، 1996 ،814/1. 23- سفر التكوين 6/30

يبدو من التعريف الإسلامي للدين أنه حصر مسمى الدين في دائرة الأديان الصحيحة، المنبثقة من الوحي الإلهي ،وهي التي تتخذ معبودا واحدا هو الخالق المهيمن على كل شيء فالديانة الطبيعية التي تستند إلى العقل ،والديانات الخرافية التي هي ثمرة الأوهام والأساطير، والديانات الوثنية التي تتخذ من التماثيل آلهة لا ينطبق عليها تعريف الدين مع أن القرآن الكريم قد سماها كذلك حيث يقول ومن يبتغ غير الإسلام دينا ويقول لكم دينكم ولي دين.

2-معنى الدين في الفكر المسيحي:

أصل كلمة الدين من دان ، و هو اسم عبري معناه قاض وهو اسم شخص هو خامس أبناء يعقوب ولدته له بلهة **23**.

كما ورد في الإنجيل دان يدين ،دين ودينونة: تطلق على حكم الله على الناس بحسب أعمالهم .

وقد أختص يسوع المسيح بصفة الدينونة فهو الديان الذي يحاسب جميع البشر عن أعمالهم في الجسد خيرا كانت أم شرا ، وهذه الدينونة عامة وشاملة ، وحكم هذه الدينونة نهائي ولا يقبل النقض والاستئناف.وطبقا لهذا الحكم يدخل الأبرار إلى أمجاد ملكوت المسيح ومسراتها، ويحشر الأشرار إلى الظلمة الخارجية واليأس الأبدي**24**.

ترد كلمة **religion** بمعنى نشاطات إنسانية يهتم بها ويمارسها جميع البشر وفي كل البقاع. وفي اللاتينية ترد هذه الكلمة مجزأة كما يلي**rel L igo** وقد اختلف العلماء عند إرجاع هذه الكلمة إلى جذورها، فقد أقترح الباحث الروماني **سيسرو** أن الجذر **leg** يعني المراقبة أو الملاحظة وخاصة مراقبة الأجرام السماوية أو الإلهامات السماوية الدينية.

أما **سيرفيوس** فله رأي مخالف فالكلمة جاءت من جذر آخر هو **lig** وتعني الرابطة أو العلاقة المشتركة بين الإنساني والإلهي، ويمكننا اعتماد التفسيرين كما فعل القديس **أوغسطين الكبير** إذ رأى أن كلمة دين **religion** تتضمن المعنيين السابقين.

ولكن إذا تفحصنا الكلمة اليونانية التي تعني أيضا الدين فإن ترجمتها الحرفية هي الاستلهام والتكهن،

—

23- سفر التكوين 6/30.

24-بطرس عبد الملك وآخرون،قاموس الكتاب المقدس،القاهرة :دار الثقافة،1995 ص 382.

عن طريق ممارسة الشعائر والمراقبة الدقيقة وهذه لا تعبر بصدق عن ما تحدث به المسيح بأن ملكوت السماوات لا يأتي عن طريق التكهن ولاعن طريق الطقوس الكلاسيكية إن ملكوت السماوات يتحقق بتحرر الإنسان من الداخل من القلب من الشعور وليس بالمظاهر الخارجية**25**.

والشائع في الفكر المسيحي أن كلمة **religion** تعني علاقة متينة بين النفس الإنسانية والذات الإلهية المقدسة، ولكن علاقة كهذه تعد ثابتة كالطريق أو الطريقة غير خاضعة للتغيير أو التطور**26**. إلى جانب هذا التعريف المسيحي للدين الذي اقتصر على تعريف الدين حسب النظرة المسيحية هناك تعاريف أتى بها الفلاسفة الغربيون وهي مع وفرتها أكثر من أن تحصى ،ومع اختلافها وتباينها إلا أنها في دراستها للأديان كانت تتخذ من المسيحية نموذجا للحديث سواء ما جاءت في صورة مدح للدين أو انتقاص من شأنه لذلك لا تعدو أن تكون ضمن المعنى المسيحي للدين لا يجد **ماكسيم رودنسون Maxime Rodinson** حرجا من الاعتراف بذلك بقوله بأن الغربيين ميالون بطبعهم إلى الحكم على جميع الأديان بحسب النموذج الذي اعتادوا على استعماله وهو النموذج المسيحي**27**.

ولتوضيح ذلك نورد بعض التعاريف، عرف **سبنسر** الديانة بأنها نوع من الإحساس يجعلنا نشعر بأننا نسبح في بحر من الأسرار.**أما فيورباخ Feurbach** فقد رد الدين إلى غزيرة تدفعنا نحو السعادة.وكان **برغسون** يرى في الديانة نوعا من رد الفعل ، أو الهجوم المعاكس ، تقوم به الطبيعة ضد ما قد يتأتى عن استعمال العقل من انحطاط في الفرد وتفكك في المجتمع**28**.

—

25-أس .بوكيت أميريكين، مقارنة الأديان،ترجمة رنا سامي الخش حلب:دار الرضوان ،ص 7-8.

26-Pierre Chavot . Le Dictionnaire De Dieu .Italie Editions de La Martiniere.p551.

27-Maxime Rodinsone L Islam Politique et Croyance. Librairie Artheme Fayard.1993.p3**0**.

28-يوسف شلحت،نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني ،لبنان:دار الفارابي،ط1،2003،ص 49.

أما **باسستيد** فقد حاول أن يوسع من دائرة الدين حيث بدأ مسيرته الفكرية بدراسة مشاكل الحياة الصوفية 1931 وعناصر علم الاجتماع الديني 1935 فالدين هو أولا نشاط رمزي يتميز بأسلوب
خاص به ويحمل بعدا عاطفيا.إنه نشاط رمزي ليس مراده فقط أدآء شعائر و تزكية عقائد بل أن يفهم
بشكل عام وكأنه نشاط ثقافي تام يتكلم عدة لغات**29**.

والملاحظ أن **ماكس ميلر** كان أشد تضييقا لهذه الدائرة ، حتى قال إن الدين هو محاولة تصور مالا يمكن تصوره والتعبير عما لا يمكن التعبير عنه هو حب الله فهذه العبارة لا تنطبق في حرفيتها إلا على نوع من الأديان يفصـــل بين العقيدة والعقل فصلا تاما ، ويفرض على معتنقيه أن يؤمنوا بما لا تقبله عقولهم ، ولا تتصوره أذهانهم .وهذا التعريف أقرب للديانة المسيحية من غيرها**30**.

والحق أن الغربيين ميالون كما سبق وأن ذكرنا إلى الحكم على جميع الأديان بحسب النموذج الذي ألفوه كثيرا وهو المسيحية وهنا يتجاوز الإسلام المسيحية و البوذية أيضا، وينشأ الاختلاف من أن الإسلام لا يقدم نفسه كمجرد رابطة بين المؤمنين الذين يعترفون بالحقيقة ذاتها وحسب بل كمجتمع شامل ونظام دولة.

لقد انبثقت المســيحية كما يذكرMaxime Rodinsone كنحلة صــغيرة في ولاية بعيدة عن المركز في إمبراطورية شاسعة، ولم يبتغ مؤسس المسيحية إنشاء دولة أبدا، بل ألح على ضرورة احترام أطر الدولة القائمة، لقد أراد أن يعلم الناس أن يعملوا لخلاصهم ولاشيء أكثر، فغاية المسيحية المثلى بناء كنيسة.**31**

29- جان . بول ويليم،الأديان في علم الاجتماع،ترجمة بسمة بدران، بيروت: المؤسسة الجامعية ،ط،2001.ص 54-55.

30-دراز، الدين،ص 30.

3-Maxime Rodinsone L Islam Politique et Croyance-p30-31

يبدو من التعاريف المسيحية سواء كانوا رجال دين أو فلاسفة أنها أفرغت من مضامين الدين الأساسية وحلت محلها مفاهيم تمثل نظرة إيديولوجية قاصرة و لم يفلح الفلاسفة في وضع تعريف جامع للدين يمكن من خلاله تجاوز النموذج المسيحي. ونحن نقر بالقصور والعجز الذي أصاب الفكر الغربي المسيحيي في وضع تعريف للدين شاملا ومن ثم فهم الظاهرة الدينية، وهذا يعود إلى انخراط الباحثين الغربيين في أحد

تيارين:

إما تيار الاستخفاف بالأديان و اتهامها في كل ما جاءت به، وفاء بما يزعم من احترام العقل و تقديس حريته الفكرية.

أو تيار الانتصار الأعمى و الدفاع الديانة المسيحية مع اعتبارها نمطا نموذجيا في دراسة الأديان ،وهذا ينطبق بصفة خاصة على تعاريف الدين عند كل من **ماكس ميلر وهيجل** حتى أضحى هذا النمط الفكري شبيها جدا بموقف الباحثين اللاهوتيين المسيحيين.

إن قصور هذه النظرة في الفكر الغربي يكمن- إضافة إلى استحضار النموذج المسيحي- في أن الفلاسفة الغربيين لم يعتمدوا في دراساتهم على الحقائق التجريبية للأديان، أي لم يلتفتوا إلى الدين في جانبه الحي الفعال وهذا من شأنه أن يخلف خللا منهجيا هائلا فطريقة البحث في فرع معين تنبع من طبيعة الموضوع .

لقد اقتصرت الأبحاث الغربية في الأديان على دراسة الآثار التي يتركها الدين على المستوى الفردي والجماعي وبهذا عجزت عن ملامسة طبيعة الدين وجوهره.لم يسلم من هذا القصور بعض الباحثين المعاصرين للدين إذ أنهم لا يتميزون عما سبقهم إلا في أنهم قد رتبوا بعض الأفكار الرئيسية المتعلقة بالدين وتناولوها بالتعليق والربط والتحليل ، ثم اتخذوا لها ألقابا أو عناوين مختلفة. وكلها في الواقع لم تتخذ التجربة الدينية الفعلية كنقطة بدء،ولم تستفد بهذا في بحثها ودراستها.

إن القصور الذي خلفه تعريف الدين في الغرب مرده إلى دراسة الدين مرتبطا بالأهداف التي يحققها سواء على المستوى الفردي أو الجماعي.فبرزت آراء فلسفية عديدة تنظر إلى أثر الدين والمنفعة التي يسعى إلى تحقيقها وليس إلى ماهيته وطبيعته . ويمكن حصر الأهداف- التي عنى بها الفلاسفة الغربيون- في مجملها وفق المحاور الثلاثة الآتية:

- الهدف الاجتماعي :يمثل الدين مستودعا للقيم الأخلاقية، فالدين برأي **كانط** يسعى إلى إسداء خدمة نفعية لا يقدر عليه غيره برعايته لأهم مصالح الإنسانية متمثلة في وحدة مشتركة للمنظومة الأخلاقية يتلاقى حولها بنو البشر عبر عنها كانت بالقانون الأخلاقي العالمي.

وقد يكون **كانط** محقا فيما ذهب إليه ولكنه فيما يبدو قد قلص دائرة وظيفة الدين وقيد مجال خدمته،بحصـــره على الجانب الأخلاقي.إن ما يتطلع إليه المرء من ربه حتى في دائرة الأخلاق نفسـها لا يقتصـر على أن يجعل الخير واجبا بل هو يرجو إلى جانب ذلك عونه وتوفيقه على استدامة الصلاح و الحياة الطيبة ،كما أنه يشعر بحاجته إلى الله في مجالات كثيرة أخرى تضمنها التجربة الدينية.

ومع أهمية الأخلاق في المنظومة الدينية ،لدرجة أضحت بعض الديانات منظومات أخلاقية خالصة تكاد تخلو من إشارات عقائدية كالبوذية فأصـــبحت عند بعض الباحثين مذهبا أخلاقيا.ولكن هذا لا يعني الادعاء بأن الأخلاق هي جوهر الدين**32**.

لقد شجع المسيحيون الاتجاه الأخلاقي للدين فرسموا للمسيحية أسمى صيغة خلقية، ولكن يؤخذ على هذا الرأي استبعاده للعناصر النظرية و العاطفية في الحياة الأخلاقية أي أنهم يقصون أجزاء من الدين.

إن التأكيد على الواجب الأخلاقي وحده قد ينفي الشـــعور بالواجب نحو الله و الاســـتغناء عنه.فالتعاليم ا الأخلاقية الإسلامية ترنو إلى تحقيق سعادة الإنسان بقدر ما ترنو إلى رعاية مصالح الآخرين،وهي كما يذكر **مالك بن نبي** تدفع الفرد على أن ينشد دائما ثواب الله قبل أن يهدف إلى تحقيق فائدة بعينها33.

فالدين ظاهرة سوسيولوجية تضطلع بأدوار عديدة ليست أخلاقية فحسب بل تمتد إلى أصعدة سياسية و اقتصادية، وعلى الباحث أن يدرس هذه الأدوار بذاتها فالمطلوب علميا هو درس ما يحدث في المجتمع ، وتحديد نسبة الحدث الديني وقوته، وتبيان أثره و تأثيره،وخصوصا تأثره بالمجتمع الذي يعتنقه وهذا موضوع علم الاجتماع الديني**34**.

وهنا يتضـح القصـور في فهم الظاهرة الدينية باعتبارها وليدة المجتمع فهو الذي ينتج الظاهرة الدينية ويوجهها فهي معرفة أنتجها البشر، لا وحيا ولا سرا يتعذر فهمه.

تبعا لما سبق فإن العقائد الدينية هي من إنتاج مجتمعاتها عبر تغيرها وتطورها،و ليست من إنتاج أفراد

—

- 32- محمد كمال إبراهيم جعفر ، في الدين المقارن،القاهرة:دار الكتب الجامعية، ص65.

33- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، (دمشق: دار الفكر)، ص248

34- يوسف شلحت، نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني (بيروت: دار الفارابي ط1، 2003) ، ص13-14.

رجال دين أنبياء رسـل كهنة عارفون فهؤلاء الأفراد الذين يحترفون المهنة الدينية المقدسـة هم من المجتمع،وهم يمثلون المقدس في الحياة الاجتماعية.لذلك فإننا لا نكاد نعثر في قاموس علم الأديان المقارن الغربي مفاهيم حول النبي أو الرســـول لأنه وفق الإطار المنهجية المتبعة يعجز هذا العلم عن شرح هذه الظواهر فيفضي ذلك إلى إقصائها عمدا من قاموسه.

وهذا من شأنه أن يخلف نقصا فظيعا في دراسة الظاهرة الدينية بتجريدها من المعاني الباطنية التي تميزها وبذلك يلغي المعرفة الدينية الخالصة.

- **الهدف نفسي وعاطفي:** يضطلع الدين بوظيفة سامية في تلبية حاجات نفسية وعاطفية ،فالطقوس الدينية والشعائر التعبدية التي يقوم بها المتدين لها أبلغ التأثير في تلبية هذه الحاجات ،وفي هذا الإطار تتبلور المواضيع الكبرى للدين كالعبادات،و الطقوس الدينية.

تولى الاهتمام بهذا الهدف بشكل خاص علم النفس الديني الغربي ، ومع تقديمه لمادة غزيرة خاصة في بيان حاجة المتدين الملحة لإشباع حاجاته من خلال قيامه بالطقوس الدينية إلا أن الفكر الغربي نظر إلى الدين باعتباره النفعي من حيث إشباعه لأغراض نفسية.وتغاضى عن المعيار القيمي الذي يميز الدين.

-فكري عرفاني: يسعى المتدين إلى التطلع اليقين البرهاني و الساكن النفس إلى العقد الإيماني في اعتلاء العروة الوثقى فيسمو سره على القدس لينال من روح الاتصال**35** .

ومن أشهر من عبر عن هذا الهدف الذي يرجى من الدين **هيجل** الذي عرف الدين بقوله إنه المعرفة التي تكتسبها النفس المحدودة لجوهرها كروح مطلق. ويدلل **هيجل** على فكرته على أساس أن كل الديانات إنما تتطلع إلى تحقيق اتحاد الألوهية بالإنسانية،وبناء على ذلك فإن تنوع الديانات بنظر **هيجل** كأنها مرت بأطوار تدريجية لتحقيق هذه الوحدة حتى نصل إلى المسيحية التي تجسد هذه الوحدة فهي قمة البناء **36**.

والمؤكد أن الدين في تاريخه الطويل ظل بجانب الإنسان يمده بإجابات على الأسئلة ليشبع نهمه المحيرة والمتعلقة أساسا بنفسه وبالعالم ،يتضح ذلك جليا في الديانات السماوية الكبرى.لقد أجاب الدين على أسئلة كثيرة طالما شغلت الإنسان و أقضت مضجعه،ومع سذاجة الإجابات في بعض الديانات البدائية لا تدعو مطلقا إلى الاستخفاف بالدين ومع ما.قدمه الدين من مضمون فكري أو عرفاني.،إلا أن هذا كله لا يعبر عن مخزون الدين كله و إلا اعتبرت الفلسفة دينا.

35-ابن سينا ، الإشارات، (المطبعة الخيرية،ط1، 1325هـ) ج2، ص.104.

36- هانس كينغ، مشروع أخلاقي عالمي ، ترجمة جو زيف معلوف وأو رسولا عساف، (لبنان : المكتبة البولسية، ط1، 1998م) ص229

إذن لا يمكن التعويل على التعاريف المسيحية الغربية للدين لأنها مبنية على الشعور النفسي و الإحساس الداخلي،فهي إما غير علمية وإما ناقصة وتحيزة للنموذج المسيحي لا تستطيع أن تفلت منه وهي بذلك لا تفي بالغرض ، وهذا ينطبق على مصطلحات دينية لم يستطع الفكر الغربي الإلمام بمضمونها وسبر أغوارها كالوحي والنبوة والعرفان ونحوها.

ومن أجل تجاوز هذا القصور في تعريف الدين يقترح **جار ودي** إلى ضرورة الاستعانة بالعارفين والحكماء من أجل معرفة أكبر لجوهر الدين وأنساقه **37**.

وفي خضم هذه التعاريف المسيحية والإسلامية ألا يمكن تحديد ماهية الدين نستشف منها الخصائص والعناصر الجوهرية التي تميز النزعة الدينية أو الشعور الديني بوجه عام . إننا نعتقد أن **عبد الله دراز** وفق إلى حد كبير في اكتشاف هذه الخصائص التي لا تقصي أي دين عرفه الإنسان، فالدين ينظر إليه أولا من حيث هو حالة نفسية داخلية بمعنى التدين فهو الاعتقاد بوجود ذات –أو ذوات غيبية – علوية لها شعور واختيار، ولها تصرف وتدبير للشؤون التي تعنى الإنسان، اعتقاد من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبة ورهبة، وفي خضوع وتمجيد وبعبارة موجزة هو الإيمان بذات إلهية.جديرة بالطاعة والعبادة.أما إذا نظرنا إليه من حيث هو حقيقة خارجة فالدين هنا هو جملة النواميس النظرية التي تحدد صفات تلك القوة الإلهية، وجملة القواعد العملية التي ترسم طريق عبادتها.

خامسا/ تصنيف الأديان:

يمكن تصنيف الأديان من زوايا مختلفة إلى الأصناف التالية:

أ- التصنيف التاريخي للأديان: الأديان البدائية كما هو سائد في الأقوام البدائية ، الأديان القديمة كالأديان البائدة في الشرق الأوسط والأديان الجديدة كالأديان الكبيرة.

ب- التصنيف الموضوعي للأديان:الأديان البسيطة كالطوطمية، والأديان الفلسفية كالهندوسية والبوذية، والأديان التوحيدية كاليهودية والمسيحية والإسلام.

ج- التصنيف الجغرافي للأديان :فهناك ديانات الشرق الأدنى وديانات الشرق الأقصى وأحيانا

—

37 -روجي غار ودي ، نداء إلى الأحياء ، ترجمة دوقان قر نوط،(سوريا: دار دمشق، ط1، 1981) ص128.

ديانات الشرق الأوسط، وهناك ديانات غرب إفريقيا وشرق أفريقيا، وهناك توزيع للأديان حسب بعض المناطق الجغرافية فيقال ديانات شبه القارة الهندية ، وديانات الاتحاد السوفيتي وديانات العالم العربي، وهي مناطق جغرافية تتبع عوامل سياسية في التقسيم.

سادسا/ نحو إعادة صياغة علم مقارنة الأديان .

مع أن هناك أزمة منهجية تتخبط فيها الدراسات المقارنة للأديان تحت وطأة التحيز الذي يكتنفها حيث لا يمكن التقليل من شأنها ، وعليه فإن علم مقارنة الأديان في أمس الحاجة إلى منهجية بإمكانها أن تحدث فيه ذلك الانتشال من وضعه المتأزم إلى وضع أكثر محايد.

ولا يتسنى له ذلك إلا أخذنا الاعتبارات الآتية:

– إن أنساق الدين الكبرى كما برزت في الفكر الغربي وردت مجزأة وتم تسويقها في إطار من العالمية وهي لم تتحرر من وطأة النظرة المتحيزة التي تنظر إلى أديان بعينها وتتخذها نموذجا للدراسة كالمسيحية مثلا وتتغاضى عن نماذج لأديان جمعت بين هذه الأنساق وزادت عليها.

وقد كان لتصنيف هذه الأنساق وتبويبها بحسب المسيحية في غالب الأحيان أثره الخطير في المقارنة بينها خاصة وأن وظيفة علم مقارنة الأديان الغربي هو مقارنة بين تاريخ الأديان.

وأسطع مثال على ذلك محاولة مقارنة الكتب المقدس بالقرآن الكريم حين طفق بعض الباحثين إلى إعادة ترتيب القرآن الكريم بطريقة جديدة تحذو حذو الكتاب المقدس في ذلك، والعدول عما أجمع عيه المسلمون وتعارفوا عليه، وما نقل إليهم بالتواتر.

لقد كان لهذا الترتيب الزمني أن مهد السبيل لاستنباط أخطر النتائج في مجال العلوم القرآنية وجعلوا منه أكبر مدخل للطعن في المصدر الإلهي للقرآن الكريم.

إن الدراسات النقدية للكتاب المقدس والقرآن الكريم تضفي إلى استحالة المقارنة بينهما فطبيعة كل منهما تنضح بمفارقات عديدة تعدت اللغة والإعجاز إلى طريقة الكتابة والجمع.

للتذكير هنا أن علما ء الملل والنحل في الإسلام رتبوا أنساق الأديان وفق ما يعتقده جمهور معتنقيه ،ثم عمدوا إلى مقارنة الأصول بالأصول والفروع بالفروع ومنه فالعقائد بالعقائد و العبادات بالعبادات .وجدير بالذكر هنا أن نذكر منهج **أبي الحسن العامري** ت381هـ الذي ورد في مؤلفه كتاب الإعلام بمناقب الإسلام كنموذج للدراسة المقارنة بين الأديان، حيث يقول (وقبل أن نشرع فيما وعدناه من مقابلة ركن ، يجب أن نقدم مقدمة فنقول :إن تبيان فضيلة الشيء على الشيء بحسب المقابلات بينها قد يكون صوابا وقد يكون خطأ.و صورة الصواب معلقة بشيئين :

أحدهما: ألا يوقع المقايسة إلا بين الأشكال المتجانسة، اعني ألا يعمد إلى أشرف ما في هذا فيقيسه بأرذل ما في صاحبه ، ويعمد إلى أصل هذا فيقابله بفرع من فروع ذلك.

وإلى آخر : ألا يعمد إلى خلة موصوفة في فرقة من الفرق، غير مستفيضة في كافتها ، فينسبها غلى جملة طبقاتها) بهذا المنهج الصارم وغير المتحيز انكب علما ء الملل والنحل على دراسة الأديان.

- أزمة الفكر الغربي تمكن في جعل العقل قوة مستقلة عن الحس ومن الإيمان قوة مستقلة عن العقل متأثرا بذلك بما غصت به أدبيات المسيحية حول التناقض بين العقل والإيمان مع أن ملكات الإنسان واحدة فالذي يحس ويعقل ويؤمن إنسان واحد .

أضف إلى ذلك مبدأ الصراع بين الأضداد الذي لازم الفكر الغربي منذ نشأته الأولى في أحضان اليونان في القرن الخامس قبل الميلاد وحتى عصرنا الحاضر فبرزت على ساحة الفكر الغربي الثنائيات المتضادة المتصارعة المثالية والواقعية المادة والروح العقل والوحي هذه النزعة كما يرى **إقبال** أصيلة في المسيحية فالتعارض حاد بين الذات و الموضوع، بين فهم العالم كحقيقة رياضية خارجية، وبين البيولوجية الكائنة في النفس. ويؤكد **إقبال** بأن هذا التعارض العنيف هو الذي ترك أثره في النصرانية أما الإسلام فإنه يواجه هذا التعارض بقصد التغلب عليه.وهذا الاختلاف الأساسي في النظر إلى علاقة جوهرية بين الإنسان والكون يحدد كلا من اتجاه هذين الدينين العظيمين نحو مشكلة الحياة الإنسانية في أوضاعها الحاضرة كلاهما يرمي إلى توكيد روحانية النفس الإنسانية مع فارق واحد لا غير: هو أن الإسلام،لإدراكه ما بين المثال والواقع من اتصال يستجيب لعالم المادة ويبين طريقة السيطرة عليه بغية الوصول إلى كشف أساس لنظام واقعي للحياة38.

ولا شك أن هذا التأصيل يجعل البحث في قضايا الإنسان والأديان والكون أمرا مشروعا ومطلبا معرفيا ،ونوعا من التأمل في مظاهر الفعل الغإلهي وتجليات القدرة الإلهية وهو بهذا يتفق مع غينو في تعالي العلم الإلهي القديم على العلم الجزئي الحسي39.

حرص علماء الإسلام على إبراز شمول الدين لمجالات أوسع من الأنساق ذات الجانب الواحد التي سبق عرضها. لذلك فإن مشاهير علماء الإسلام لم يشعروا في آية لحظة بالحدود الفاصلة ــ

38- محمد إقبال،تجديد التفكير الديني في الإسلام،ترجمة عباس محمود دار آسيا،(بيروت 1985)،ص15-16

39 -René guenon la crise du monde moderne Alger bouchene,1990 pp53-69

- بين مجالات المعرفة التي تناولوها على النحو الذي نشعر به الآن ومن ثم لا نجد لديهم أي أثر من آثار التعارض أو الانفصال بل نجد بالأحرى إحساسا واضحا بالتكامل بين المجالات المتعددة. فنحن ندرك أنه إبان ازدهار الحضارة الإسلامية خلال القرنين الثالث والرابع الهجري، كانت مجموعة علوم الدين واللغة تسير جنبا إلى جنب مع مجموعة العلوم الرياضية و التجريبية.

إن جهود ابن سينا– الفيلسوف الأكثر شهرة العلمية – تعكس في ثنايا مراحل تطورها المختلفة،مدى عبقريته في إدراج العلوم الطبيعية بجانب الفلسفة الإلهية فمباحثه في كتاب الإشارات الأول إحدى طرق الاستدلال وفي الثاني تعريف وتوضيح للعرفان .

" قدم ابن سينا مثلا حول صياغة برهانيه عر فانية معا للحقيقة كما رآها و أحسها فجمع بين أر سطو وأفلاطون في مشهد واحد وقال بقدم المادة والصورة والحركة و الزمان.

لأن العالم في مذهبه أزلي وقديم ، إلا أنه يصدر عن الله صدورا أزليا وضروريا كصدور النور عن الشمس، أو الحرارة عن النار،ولاوجوب ولا خيرية و لا كمال في هذا العالم إلا بما يفضيه الله عليه من الصور. فكأن كل شيء في هذا العالم مظهر من مظاهر الذات الإلهية.كان هذا هو اجتهاد ابن سينا في عصره حيث حاول أن يوازن بين البرهان والعرفان في وسط مذهبي.

وجاء الغزالي فأثبت طريقة أخرى في التقاء البرهان والعرفان مؤكدا مرة ثانية أهمية قيمة التوازن التي رأى أبو الوليد بن رشد أن يجاوزها لحساب المنطق البرهاني الصرف بحدوده الوضعية".40

إن المتفحص كتب المسلمين ينبهر باتساع الدائرة التي يشغلها الدين وتنوع المجالات التي يشملها ومنه فإن الغرض الديني لا يقتصر على الجانب النفسي ولا على الجانب العقلي و لا على الجانب الخلقي بالمستوى الفردي وإنما تتسع دائرته لتشمل المظهر الحضاري العام. وهذا يؤكد على أن الدين يعنى بالكيان الإنساني كله.

وليس غريبا أن نجد بعض المفكرين الغربيين يعلنون في صراحة أن الدين قد شغل الشخصية الإنسانية وأتاح أوسع مدى لقواها وملكاتها ، ولم يكن مجرد أمر يتعلق بالعقل ،أو بالقلب.

لم تكن المسيحية بمنأى عن نزعة التحيز ،وبحسب **غارودي** إن هذا التوجه الذي تنتهجه الكنائس

40-وليد منير أبعاد النظام المعرفي ومستوياته – نحو نظام معرفي إسلامي أعمال الحلقة الدراسية (عمان 10-11يونيو 1998)، 184-185

الغربية ، في إطار تطورها التاريخي ، ليس بالأمر العارض في تقدير غارودي إنه بالنسبة إليه إحدى المهام الجوهرية لعلم اللاهوت المعاصرة حيث الاستيعاب من جديد لرسالة يسوع الناصري متجاوزة الحضارة اليونانية اللاتينية ، التي كثيرا ما حجبت جوهر الرسالة المسيحية ليسوع الناصري . جارودي،نداء إلى الأحياء.

حجبت جوهر الرسالة المسيحية ليسوع الناصري . جارودي،نداء إلى الأحياء.

لقد لبث غارودي وعلى مدار مسيرته الفكرية يؤسس لما اعتبره تسلل إيديولوجي وعلاقته بالفكر الديني المسيحي في الغرب بصفة أساسية أما الشرق الذي يرى أنه قد ملك نوع من الحصانة الداخلية في توجهات كنائسه الدينية.

رفع جارودي شعار وجوب العودة إلى المسيحية ما قبل التقاليد الرومانية الإغريقية أي رسالة يسوع،الذي لم يفقه من لغة الفلسفة اليونانية والتنظيم الروماني شيئا وجارودي في رأيه هذا ليس بدعا في القول فقد سبقه إلى ذلك القاضي عبد الجبار بقوله إن الرومان لم يتنصروا الكن النصرانية هي التي ترومت.لذا نجد غارودي في تحليله للفكر الديني المسيحي يركز بشكل أساس على ترصد أصول النظرة الدينية التي جاءت رسالة يسوع تنشدها.

لذا ظل غارودي يلح على محاولة الإفادة من هذا المكسب الذي يعبر عن التفاعل الحادث بين الأديان السماوية الثلاث. بتشـجيع محاولات التجديد في الكنائس الغربية أي تعزيز نلك المسـاعي التي يقوم بها مجمع الفاتيكان الثاني في دعوة يوحنا الثالث و العشرين إلى تحديث دين الكنيسة لكي تنفتح على العالم وترد على مسائله وحاجاته الأساسية التي تطرح بإلحاح في العالم الإنساني المعاصر من خلال العودة إلى كنيسة ما قبل الحضارة اليونانية الرومانية41

إن الفكر الإسلامي اليوم لهو في أمس الحاجة إلى أن تتضح صورته الناصعة بتنقية تراثه من أدران عكرت نقاءه وأنجع وسيلة لتحقيق ذلك تتمثل في إحياء علم مقارنة الأديان، فهو بإمكانه أن يضطلع بدور فعال ن كما كان من قبل وسيلة في إنهاض العقول من سباتها .

وكم يحدونا الأمل أن يشق هذا العلم طريقه كما فعل من قبل في خدمة الإنسانية بعيدا عن التحيز.

مع هذه الأهمية عاد هذا العلم إلى الظهور في الجامعات الإســـلامية ولكنه في الحقيقة ظهور محتشـــم لم يأخذ بعد مكانته اللائقة، وقد سعت جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية منذ نشأتها 1984م

—

41-غارودي ، الأصوليات المعاصرة ترجمة خليل أحمد خليل (باريس :دار عام ألفين ط1 1992) ص38.

بالأخذ على عاتقها القيام بهذا الدور حيث خصصت قسما بأكمله لدراسة مقارنة الأديان فحقق أهدافا منها

- المساهمة في نشر مخطوطات قديمة حول مناظرات علماء المغرب العربي مع أهلل الأديان الأخرى .

- بيان أصالة علم مقارنة الأديان في الفكر الاسلامي ونسبته إلى العلوم اللإسلامية فقدمت لهذا الغرض رسائل ماجستير ودكتورا مثل منهج كل من القاضي عبد الجبار والباقلاني ونقدهما للديانة المسيحية .

- تجلية دور علماء المســلمين المعاصــرين وبيان مناهجهم في دراســة الأديان ،ويأتي في طليعة هؤلاء الدكتور عبد الوهاب المسيري الذي انكب طلبة الماجستير على دراسة موسوعته الشهيرة فكان من ثمارها مناقشة مذكرة ماجستير حول منهجه في دراسة الديانة اليهودية.

– ونحن إذ نهيب بالمفكرين المسلمين للاهتمام بهذا العلم ، نعتقد بان هذا يتم في ظل الانفتاح على الآخر برصد إنجازاته وتقييمها بعيدا عن الانكفاء على الذات لذلك أخذ قسم مقارنة الاديان على عاتقه مشروع فتح مدرسة **الدكتوراه في مقارنة الأديان** بالتعاون مع بعض الجامعات الاجنبية .

سابعا/ فطرية التدين

الدين فطرة مغروسة في أعماق النفس البشرية لذلك عرف علماء الأديان الإنسان بأنه حيوان متدين أو كائن متدين لأنه الكائن الوحيد من بين كل الكائنات الذي يميل إلي التدين بطبعه، فالتدين ملازم للإنسان. والإسلام أكد ذلك فقد أخبر القران الكريم بأن الله قد خلق الإنسان من طين، وأنه عندما اكتملت تسويته وتم صنعه من هذه المادة الطينية ثم أضاف إليها عنصرا آخر جوهريا وهو العنصر الروحي الذي به اكتمل خلق الإنسان، والذي به صار الإنسان إنسانا، وأصبح جديرا بأن يأمر الله ملائكته أن يسجدوا له تمجيدا لصنع الله وتكريما للإنسان. وفي ذلك يقول القرآن الكريم: فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين. مسألة في غاية الأهمية أشارت إليها الآية وهي: أن الله تعالي قد نسب هذا العنصر الروحي إلي ذاته. فقد نفخ الله في الإنسان من روحه . وهذا تكريم للإنسان ما بعده تكريم خصه الله به لم ينله أحد غيره من الخلق.

فبقية المخلوقات الأرضية تشترك مع الإنسان في العنصر المادي ولكن التفضيل الأهم يكمن في هذا الجانب الروحي الرباني الذي به أصبح الإنسان خليفة الله في الأرض . فالجوهر الأصيل للإنسان إذن يتمثل في الروح وليس في المادة . وحاجة الإنسان إلي الدين ليست مجرد إشباع نزعة فطرية عابرة كما يلمح إلى ذلك علماء النفس وليس حاجة اجتماعية كما يزعم علماء الاجتماع لديه مثل بقية حاجاته الأخرى، وإنما هو في حاجة إلي الدين لأن حياته لا تستقيم ولا يكون لها معنى بدونه فهو منهج للهداية ونبراس للسلوك ومهذب للنفوس بما يشتمل عليه من توجيهات إلهية صادرة من خالقه الذي يعلم علم اليقين مايصلح هذا الإنسان وما يفسده. وفي ذلك يقول القرآن الكريم:ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير.وهذا كله يفسر لنا اهتمام الشريعة الإسلامية بجعل حفظ الدين وحمايته أحد أهم مقاصد الشريعة الإسلامية.

ثامنا نظريان نشأة التدين

توصل العلماء الاجتماع والأنثروبولوجي إلى العديد من النظريات حول نشأة الدين في المجتمعات البدائية، وقد جاءت نتائج تلك الدراسات والأبحاث متباينة ومختلفة فيما بينها، أغلب هذه النظريات تتخذ من المجتمعات البدائية المعاصرة وآثار المجتمع البدائي الأول مادة تعتمد عليها مع التأكيد أن هذه المجتمعات لا تمثل بالدقة المراحل الأولى للمجتمعات الإنسانية.

ويمكن تقسيم النظريات التي عرضت لنشأة الدين وفقا للنظريات التالية:

1-النظرية الطبيعة:

يتزعم هذا الاتجاه **ماكس ميلر** يرى أن الدين محاولة أولى من جانب العقل الإنساني لتفسير ظواهر الطبيعة وقد هداه إلى ذلك ما عليه الكون من تناسق وانتظام فنسب هذا التناسق والانتظام الكوني إلى قوة مستقلة عن البشر يخضع لها نظام العالم والدليل على ذلك أن تتبع أسماع الآلهة تعني مظاهر الطبيعة المختلفة. ويرجح-ماكس ميلر- أن الإنسان قد تدين منذ أوائل عهده لأنه أحس بروعة المجهول وجلال الأبد الذي ليس له انتهاء، وأنه مثل لهذه الروعة بأعظم ما يراه في الكون وهو الشمس التي تملأ الفضاء بالضياء، فهي محور الأساطير والعقائد كما ثبت له من المقابلة بين اللغات واللهجات.

ويذهب-ميلر- إلى أن الدين هو اللغة التي يعبر بها الإنسان عن هذا الإحساس الغامض الذي يأتيه عن طريق حواسه وقلبه، والشعور الديني يعترف في بدايته بوجود عدة آلهة ولكن كلما توجه الشعور بالفرد لعبادة أحد الآلهة، سرعان ما يصبح هذا الإله في نظره أقوى الآلهة جميعا، فيتصف بصفات الآلهة الآخرين.

النظرية الروحية :

تنسب هذه النظرية إلى **تايلور** الذي يذهب إلى أن الديانات قامت في أساسها على عبادة الأرواح، فقد اهتدى الإنسان البدائي منذ القدم إلى فكرة الروح من تلك الحياة المزدوجة التي تجمع بين النوم واليقظة، فاعتقد أنه مكون من كائنين هما: الجسد والروح، ونسب إلى الأخيرة منهما كل ما يصيبه من نجاح أو فشل وبذلك أصبح لزاما عليه أن يرضيها ويتقرب إليها وينزلها منزلة التقديس وعن هذه الأفكار انبثقت عبادة الأرواح .

فالرجل البدائي – في نظره – يعتقد في تقمص الأرواح كل قوى الطبيعة ومظاهر الكون المختلفة إلى حد أنه يتصور هذه الظواهر والقوى المختلفة كما لو كانت كائنات مشخصة لها ذاتيتها وكيانها الفردي،. فكل ما في الكون من شموس وأقمار وأنهار ورياح و وزلازل وبراكين وما إليها تعتبر عنده كائنات حية كالإنسان تماما لأن الأرواح والنفوس تملأ في نظره كل شيء أو (تسكن) في كل شيء بما في ذلك الأشياء التي نعتبرها نحن أجساما جامدة .

النظرية الطوطمية :ينتشر النظام الطوطمي في قبائل السكان الأصليين لأستراليا وقد اهتم به عالم الاجتماع (دوركايم) وغرضه الوصول إلى نظرية عامة في الدين تحدد الوظيفة الاجتماعية للدين بأنها المحافظة على تماسك واستمرار البناء الاجتماعي للمجتمع وتأكيد أواصر التعاون والود بين المنتمين لدين واحد، ورغم أن الأنثروبولوجيين يتفقون مع دوركايم في

التحديد السابق للوظيفة الاجتماعية للدين وخاصة في المجتمعات البدائية إلا أن المعلومات الميدانية التي اعتمد عليها قد تعرضت لكثير من النقد.

الجزء الثاني/ دراسة عامة لأهم الأديان

أولا– الديانات الوضعية:

الأديان الكبرى للهند:

1- الديانة الهندوسية:

هي دين أكثر أهل الهند ، ويعود ظهور هذا الدين الوضعي إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد.

كتاب الهندوس المقدس:للهندوس كتاب مقدس اسمه الفيدا وهذا الكتاب يعد سـجلا للهندوس بما لديهم من معتقدات وتقاليد وعادات وطريقة حياة وتاريخ وأساطير وأنهم يعتقدون بأنه كتاب أزلي غير مخلوق.

للفيدا كما يذكر أحمد شـلبي قيمة تاريخية كبرى تنعكس في هذا الأدب الديني حياة الآريين في الهند القديم وموطنهم الجديد ففيه أخبار حلهم وتر حالهم عقيدتهم وسياستهم وحضارتهم، معيشتهم ومعاشرتهم، مساكنهم وملابسهم، مهنهم وحرفهم، تلمس فيه مدارج الارتقاء للحياة العقلية من سذاجة البدو إلى الشعور الفلسفي فتوجد فيه أدعية ابتدائية تنتهي بالارتياب وإلوهية ترتقي إلى وحدة الوجود.

والفيدا يشمل أربعة كتب دينية:

1- الريج فيدا وهو أهم قسم والراجح أن كتابته تعود إلى 3000قبل الميلاد ويضم 1017 أنشودة دينية وضعت ليتضـرع أتباعها أمام الآلهة ن وأشـهر الآلهة الذين ورد ذكرهم فيها هو الإله إندرا إله الآلهة ثم يأتي بعده الإله أغني غله النار وراعي الأسرة فالإله سورية .
2- ياجورويدا وتشمل العبارات النثرية التي يتلوها الرهبان عند تقديم القرابين .
3- ساما ويدا وتشمل الأغاني التي يتغنى بها المنشدون إبان إقامة الصلوات وتلاوة الأدعية.
4- آثار ويدا وتشمل مقالات في السحر والرقى والتخيلات الخرافية .

وعلماء تاريخ الأديان يرون أن هذا الكتب قد اشـترك في تأليفه أجيال من الكهنة والحكماء والأدباء على مدى مايقارب من عشرين قرن ،فهو لم يؤلف في وقت واحد ولم يختص بتأليفه شخص واحد.

من عقائدهم: كان الهنود القدماء يعبدون مظاهر الطبيعة وقواها، ويتخذون لكل قوة من القوى الكون، ومظهر من مظاهر الطبيعة إلها، فهناك إله للسماء وإله للرعد وغله للأرض و هكذا يتوجهون إلى هذه الآلهة المتعددة بالعبادة والتقديس .

وبمرور الزمن تطور هذا الوصف من كونه مجرد وصف للتعظيم إلى عقيدة يعتقدونها أي أنهم أصبحوا يعتقدون أن بين الآلهة وربا ومربوبيين، ورئيسا ومرئوسيين، ثم جمعوا الآلهة المتعددة في إله واحد هو رب الأرباب وغله الآلهة وأطلقوا عليه اسم براهما وهذا الغله مع انه واحد إلا أنه في نفس الوقت ثلاثة باعتبار ما يقوم به من أعمال.

مع تسليمهم بالقول أن الإله واحد ا وأنه غير متعدد قد أطلقوا عليه أسماء لاعتبارات مختلفة ن فهو براهما باعتبار أنه موجد هذا العالم وخالق له، وهو فشنو باعتبار أنه يحفظ العالم ويرعاه، وهو سيفا باعتباره مهلكا لهذا العالم ومبيدا له.

هذا لإله الواحد يرون أن العالم قد نشأ عنه، ووجد بواسطته.والبراهمة يرون أن هذا الإله الواحد برهما قد حل في هذا العالم ، بل إنه قد حل في كل موجود وهم بذلك يذهبون إلى القول بوحدة الوجود أ و الحلول فالله والوجود عندهم شيء واحد.

2- الديانة البوذية

انبثقت الهندوسية من تراكم معرفي ديني للتراث الهندي، وتشكلت من خلاله عبر آلاف السنين، ما جعل الهندوسية تجسِّد الشخصية القومية للمجتمع الهندي، في حين أن البوذية نشأت بفعل شخصٍ معيّن في إطار الرفض الصارخ للممارسات الهندوسية، وبتعبير آخر جاءت كحركة إصلاح اجتماعي ينطلق من مبادئ روحية وميتافيزيقية وسياسية ترفض نظام الطبقات الذي أعطى امتيازات واضحة للطبقتين الحاكمتين، **البراهمة والكشتريا**، وجعل البوذية تعتمد على الفئات الاجتماعية الأقل شأناً، وهي تتشبث بوجوب تخفيف سلطة البراهمة اللامحدودة إن لم يكن القضاء عليها، وتعتقد البوذية القديمة بحقيقة التقمص والحياة الأخرى، وتسند مبادئها الروحية إلى وجود **الكارما** (الفعل) والمصير الذي يخضع له الإنسان، ولكنَّها تؤكّد مع هذا بأنَّ الاحتفال الطقسي الدقيق كما تقرّره القوانين لن يوقف مجرى وعدد الولادات بل يؤثّر عليهما الخضوع للفضائل التي تنتج عن المسؤولية الشخصية.

وهكذا تحاول البوذية القضاء قضاءً تاماً على امتيازات الحسب والنسب الاجتماعية والوراثة الطبقية التي هي أسس المجتمع البرهمي، لذا ترحب البوذية دون تفرقة بجميع الذين يودون نقض سلطة البراهمة وتغدو من ثُمَّ ثورة اجتماعية.

وتستند البوذية في تعاليمها الروحية إلى مبدأ صراع الخير والشر، وتصف كدواء لداء التقمص ممارسة فضيلة المحبة نحو جميع المخلوقات والتواضع والكفر بالذات، وعلاوة على ذلك فهي تؤمن بنظرية الفداء:

تأسيس البوذية:

بوذا اسم هندي معناه عالم أو حكيم أو عاقل ، ويسمى بوذا سرقاتاسيذا ومعناه قد تمّ كلّ المطلوب،

عاش **غوتاما** في قصر والده ومن ثُمَّ زوجه، وبعد أن أنجب مولوداً، بدأ يشعر بالقلق على مصير الإنسان، وكان قد ما شاهده وراقبه من واقع الآلام التي تُعيب النّاس من الفقير الجائع إلى من ارتدى ثياباً رثة إلى من غلبه المرض... ما جعله ينفر من نظام حياته وقصر والده، ويذهب هائماً في البراري مع رهبان الهندوسية، وتمسك بالزهد والاعتزال تمسكاً شديداً صارماً، ومارس أشدّ التقشفات وذهب إلى **البوذ غيدا** أي عرش المعرفة في غايا وجلس تحت **البوذ يدروماآي** وهي شجرة البنيان حيث كلّ بوذي بستقي (معرفة الحقّ) يصير بوذي.

لقد أعطى البوذيون لبوذا موقعاً فيها حال التأله، وأصبح بوذا هو الرسالة عندهم، وتقليده والأخذ بسلوكه ومنهجه هو المطلب، إنَّ الخلود المنشود يتحقّق بالاتحاد وبوذا من خلال «**النيرفانا**». «هلموا إلى بوذا الذي وجد الخلود في الفناء، هلموا إلى بوذا الذي لا يتبدد، إلى ذلك الذي لا يغيّر وجودنا، هلموا إليه، إلى الحقيقة المنبثقة منا ثورة»،ولذلك نسبوا لخليفة بوذا «**أنوروردا**» أنَّه قال لأتباع البوذية: «إنَّ غوتاما كان الحقيقة المنظورة بيننا، إنَّه الواحد المقدس الكامل، وهو الواحد المبارك، وقد حلّت فيه الحقيقة العليا وصارت إنساناً وأعلنها لنا».

وهكذا يُصبح بوذا عند البوذيين، هو الخالد المتأله، هو الكامل، هو الشريعة، ولا حياة بدون اتحاد فيه.

تعاليم الديانة البوذية:

تتلخص تعاليم البوذية فيما يلي:

حاربت نظام الطبقات الذي كان موجودا في الديانة البرهمية وأكدت بأن الناس جميعا سواسية، وحث على الأخلاق والفضيلة والرأفة بالضعفاء.

أقرت أن هذا العالم المحس المشاهد هو عالم الرذيلة ،عالم كله شر، والواجب يقتضي أن يزهد الإنسان البوذي في هذه الحياة، كي لا يقع في الشرور والآثام، وعليه أن يبتعد عن مفاتن الدنيا.

وعليه أن يتحلى بالأخلاق الفاضلة حتى يصل على دار النعيم التي تسمى عندهم النرفانا وهي دار الحياة الخالصة.

– وتجعل البوذية الألـــم هو المحرّك للاهوت بوذا فعنده الولادة والسـن والمرض، والموت ومصـادفة المكروه ومفارقة المحبوب والعجز عمّا يرام كلّها أمور مؤلمة، وإذا ما أراد الخلاص من هذا الألـــم ما عليه إلاَّ أن يعمل للتخلي عن شهواته النفسانية والجسدية والأهواء و الابتعاد عن جميع هذه الأسباب...

ومن هذا المنطلق فإنَّ الزهد والفكر السليم سلاحان قويان باستطاعتهما أن يقفا في وجه الموجات الغرائزية والتحرر من نير الشـهوات، والفضـيلة عند بوذا هي الغاية، وقد جاء في نصـوص (الدارما): «الذين يفكّرون بمنطق الفضـيلة في كلّ غاياتهم ومقاصدهم يزدادون قوّة على قوّة في سلامة منطقهم فلا يتقيدون برباط دنيوي أو شهواني».

كما جعل طريق الزهد والتقشـف طريقاً محبباً يسـلكه الحكماء بقصـد الابتعاد عن الطرقات المظلمة والاتجاه صـوب النور: «ليستعد الرّجل الحكيم لترك طريق مظلم، وليدخل في كلّ صوب مضيء، وعندما يترك منـــزله ولا يجد له محلاً يبيت فيه يكون قد حبّب لنفسه طريق الزهد والتقشف».

وهجرانه إنَّما يكون إلى الغابات حيثُ يسعد الإنسان هناك فلا يُقابل أحداً من البشر العاديين، هو في رحلة ولادته ويبتعد عن الاشتغال بالبحث عن الشهوات وفي ذلك مسلك للطريق التي سلكها بوذا نفسه وكان حيث أنجبته أمّه تحت شجرة المالبيني، وتقول الدارما بادا: «الغابات هي المحل الذي يسـعد الإنسـان القديس الطاهر حيث لا يقابل إنسـاناً من البشـر العاديين، لأنَّه قد تحرر من أهواء النفس، ولهذا فإنَّه يشـعر بالسـعادة والراحة والطمأنينة لأنَّه لا يشـتغل بالبحث عن مادية تهواها نفسه».

وهذه البوذية كما سبق وأشرنا قد أثّرت في بعض المعتقدات، فعاشوا حياة العزلة والهروب من المواجهة، يقول البوذيون: «إذا وجدنا شخصاً سجن ألفاً، ورجلاً آخر سجن هوى نفسه فإنَّ الأخير هو أفضل الذين يسيطرون على الأمور لئن يسيطر المرء على نفسه أفضل من أن يسيطر على أناس آخرين، وكلّ من يسيطر على نفسه هو الذي يستطيع أن يغسلها دائماً ويطهرها من الآثام».

انتشار البوذية:

يعتبر تاريخ البوذية منذ تأسيسها حتّى أصبحت ديناً لمملكة فارس وما وراء النهر تاريخاً غامضاً، ولكنَّ المعروف ـ كما يقول البستاني ـــ هو أنَّه عصفت بها المشاكل وحدثت بها انشقاقات وصلت إلى حوالي ثمانية عشر طائفة، كان أشهرها اثنتان: الأولى الفيبها شيكا أي المنشقون وفروعهم كثيرة، والثانية هي السوتونيتكا أي المحافظون على القواعد الأصلية.

وتجدر الإشـارة هنا إلى أنَّ انتشـار البوذية يعود الفضـل فيه لشـخص عاش في مرحلة متأخرة على ظهور بوذا بحوالي قرنين ونصف هو آشوكا.

لقد أحدث أشـوكا نقلة نوعية في البوذية ، ولعل هذا الذي دعا لأن يعتبر أشـوكا المؤسـس الثاني للبوذية بحيث تحوّلت مع انتشارها على يديه من فلسفة أخلاقية إلى ديانة وضعية لها معابدها ومفهومها للألوهية ولها نظامها الطقسي.

ويمكن أن نصنف البوذية اليوم ـ كما ذكر فوزي محمد حميد في كتابه عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة ـ إلى نوعين هما:

1 ـ هنيايانا Hinaiana أو العجلة الصغيرة... ويرتدي كهنتها ثوباً أصفر اللون ويحلقون رؤوسهم، وعليهم الالتزام بعددٍ من القواعد الكهنوتية شـديدة التعقيد، مثلاً: لا يسـمح لهم تناول أي طعام بعد منتصـف النهار، ولا يسـمح لهم بحمل أيّ نقود أو ملكية، وهي أصغر أشكال البوذية، وأتباعها يعتبرون أنَّ بوذا ليس إلاَّ مجرّد رجل وضع بعض القواعد للسلوك، وهو ليس إلهاً يُعبد، ولا تزال توجد في سيريلانكا أشهر آثار بوذا وهي إحدى أسنانه.

2 ـــ ماهيانا Mahiana أو العجلة الكبيرة... وهي شكل منحرف للبوذية، وأتباعها يعتبرون بوذا إلهاً، ويعبدون الروح التي ألهمت بوذا، وهم يؤمنون بالملائكة والشـياطين، وتؤمن بعض طوائفهم بوجود الجنّة والجحيم، وأنَّه لا بُدَّ من مرور الروح بهما قبل أن تصل مرتبة الينرفانا.

و يشـير السـحمراني إلى أن «لمهايانا» التي انتشـرت في الشـمال توزعت إلى مذاهب، منها «زن» في اليابان الذي يهتم بالتأمّل ومذهب اللامية في منغوليا ومناطق التبت، وهو مذهب مفتوح للجميع ويركز على الفضـائل كالرحمة والإحسـان والصدق والاعتدال ويحذر من الخطايا.

هذا بالإضـافة إلى أشـكال متعدّدة من البوذية التي تأثّرت بثقافات البلدان التي انتشـرت فيها، ففي الهند، بوذية مطعمة بالهندوسية، وفي الصين بوذية متأثرة بالكنفوشيوسية، وفي اليابان بالشتوية، كما تسربت إلى بعض مذاهب البوذية مفاهيم من أتباع الرسالات السَّماوية كالمسيحية والإسلام، ولا يخلو الأمر من مفاهيم بوذية دخلت في مذاهب غير البوذيين.

ويذكر السـحمراني وكولر أن عدد البوذيين اليوم يتجاوز الأربعمائة مليون نسـمة، وهم يتواجدون في الهند ونيبال والصـين واليابان واندونيسيا وماليزيا، ولكنَّهم يشكلون الأغلبية السكانية في الدول التالية: بورما، بوتان، تايلاند، تايوان، سريلانكا، سنغافورة، فيتنام، كمبوديا، كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية، لاوس ومنغوليا.

وإذا كانت الأمم قد شهدت وتشهد صراعات وحروباً فإنَّ مناطق انتشار البوذية نعمت بقسط من عدم وجود العنف، أو أنَّها خففت من العنف والحروب على الأقل.

المراجع:

موسوعة، تاريخ الحضارات العام، منشورات عويدات، بيروت، م1، إشراف موريس كروزيه، نقله إلى العربية فريد م. داغر، وفؤاد ج أبو ريحان،

- البستاني، بطرس، دائرة المعارف، بيروت، دار المعرفة، د.ت، ج5، .
- ، إنجيل بوذا، ترجمة عيسى سابا، بيروت، مكتبة صادر، سنة 1953، مظهر، سليمان، نيبال، مجلة العربي، الكويت، العدد 326، السنة 29، ربيع الثاني 1406هـ / كانون الثاني 1986مديورانت، ول، قصة الحضارة، ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود، بيروت، دار الجيل، 1408هـ / 1988م،
- شلبي، الدكتور أحمد، أديان الهند الكبرى، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط8، سنة 1986. شلبي، الدكتور عبد الرؤوف، الأديان القديمة في الشرق، بيروت، القاهرة، دار الشروق، ط2، سنة 1403هـ / 1983م.
- حميد، فوزي محمَّد، عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة، ليبيا، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، سنة 1991.
- السحمراني، د أسعد، من قاموس الأديان، بحث البوذية، دار النفائس، بيروت، ط1، 1419هـ / 1988م.
- عوض الله جاد حجاز مقارنة الأديان دار الطباعة المحمدية بالأزهر 1977م

3- الديانة المصرية القديمة:

تمهيد/

للمصريين القدماء حضارة قديمة وعريقة، ولدت هذه الحضارة في مصر ونمت وترعرعت على ضفاف النيل قبل الميلاد بحوالي 4000قم .

وقد تضمنت هذه الحضارة العمران والثقافة والعلم والطب والحكمة، وقد كانت هذه الحضارة مزدهرة جدا في مصر القديمة وقد أخذ العالم عنها هذه الحضارة وتعلم الكثيرون على أيدي المصريين القدامى الهندسة والفن.

و يهمنا من هذه الحضارة الجانب الديني ،قال الشيخ الإمام محمد أبو زهرة رحمه الله تعالى : (أول ما يلاحظه الدارس لديانات العالم القديم أن أشد الأمم تديناً هم المصريون القدماء حتى لقد قال شيخ المؤرخين هيرودوت : " إن المصريين أشد البشر تديناً و لا يعرف شعب بلغ في التدين درجتهم فيه فإن صورهم بجملتها تمثل أناساً يصلون أمام إله و كتبهم في الجملة أسفار عبادة و نسك .")

و ذلك الكلام حق ـ فتلك الآثار الباقية التي تحكي لنا حياة المصريين جلها ـ قام على أساس من التدين و الاعتقاد و لولا انبعاث هذا الاعتقاد في النفس ما قامت تلك الأهرام و لا نصبت تلك الأحجار و لا شيدت هاتيك التماثيل التي لا تزال تسترعي الأنظار بجمالها و زخرفها و روعتها و قوة بنيانها و مغالبتها الزمان و هي قائمة الأركان ثابتة العمد ينحدر عنها الزمان و لا يزيدها القدم إلا روعة و بهاء ، لولا الاعتقاد المستكن في النفس بحياة الأرواح و وجودها في غلاف من الجسم لا يبلى ما اخترعوا تحنيط الأجسام الذي أبقى طائفة من الأجسام البشرية غبرت عليها السنون و هي لا تزال متماسكة لم تتحلل و لم تتأثر أشلاؤها .

و لقد كانت شدة تدينهم سبباً في أن دخل الدين عنصراً عاملاً قوياً في كل أعمالهم الخاصة و العامة فالدين مسيطر حتى في الكتابة في الحاجات الخاصة و في الإرشادات الصحية و في أوامر الشرطة و سلطان الحكم و لقد تعددت بسبب ذلك الكائنات المقدسة و الأشياء التي يعتبر احترامها من احترام آلهتهم أو هي بذاتها تبلغ رتبة الآلهة و تصل إلى مكانتها في التقديس و العبادة .

أولا/ أصول ديانتهم:

1- أن هذا العالم المادي المتعدد الظواهر لم يوجد بنفسه وإنما أوجدته قدرة خفية لا تدرك بالعين، ولا يتناولها الحس، وإنما يرى الإنسان آثارها بادية ظاهرة في كل شيء.

2- أن في كل كائن روحا وجد من هذا الروح العام المحجوب عن الأبصار ذلك أن الكائنات الحية تستمد الحياة منه.

3- اعتقاد رجال الدين أن الفناء مستحيل على جميع الأشياء سواء أكانت مادية أو روحية فالأجسام باقية ولكنها تستحيل من صورة إلى صورة ونمن هيئة إلى هيئة وكذلك الأرواح لا يلحقها الفناء وإنما الفناء عبارة عن الخفاء وعدم الظهور.

ثانيا/ معبودات قدماء المصريين:

بالرغم من أن المصريين القدماء آمنوا أن هذا العالم المحسوس المشاهد نشأ عن قوة خفية لا تدرك بالعين فقد عددوا في المعبود وأشركوا مع الله غيره والمصادر التاريخية تذكر أن قدماء المصريين عرفوا أنواعا من المعبودات كالحيوان، فعبدوا العجل والتمساح والقرد وغيرها، وعرفوا عبادة الكواكب مثل الشمس وغير ذلك.

ويرى فريق من الباحثين أن قدماء المصريين عبدوا إلها واحدا، وإنما اختلفت أسماؤهم تبعا للصفات التي يتصف بها، فهو **آمون** إذا لوحظ فيه القوة التي ترسل ضوءها على الكون.

وهو **إيبيت** إذا لوحظ فيه العلم وأنه محيط بكل شيء علما، وهو **أوزوريس** إذا أريد منه الرحمة العامة، والخير الشامل ومن هنا نرى بعض القبائل تجعل لإلهها اسما معينا يخالف الاسم الذي تطلقه عليه قبيلة أخرى.

فأهل طيبة كانوا يطلقون على إلههم اسم آمون.

وأهل مدينة عين شمس كانوا يسمون إلههم آتون.

وأهل مدينة منف كانوا يسمون إلههم فتاح.

ويرى بعض المؤرخين أنه كان يوجد في مصر القديمة دين العامة ودين الخاصة.فالعامة هم الذين كانوا يعبدون الحيوانات ويعددون في المعبودات ويقدسونها.

أما الخاصـــة من المثقفين ورجال الدين فلم يعتقدوا إلا في إله واحد وما تخذوا بقية الآلهة إلا لأنها تمثل بعض صـــفات ذلك الإله الخالق العظيم. أو لأنها أجزاء من ذلك العالم الطبيعي الذي خلقه الله من العدم ثم حلت فيها روحه .

ولكننا مع ذلك كله نرى أن قدماء المصـريين كانت ديانتهم وثنية ، حيث عبدوا الحيوانات والكواكب وغيرها ، فحيث عبدوا غير الله يكونون مشـركين ، وإذا كانوا مشـركين فهم وثنيون فديانتهم بعيدة عن الديانة الصـحيحة التي تدعو إلى عبادة إله واحد لا شريك له.

ولعل في قول فرعون أنا ربكم الأعلى ما يشـــير إلى أنهم كانوا يعبدون آلهة متعددة، وأنه كان يرى أنه أغلاها وأكبرها وأعظمها.

المراجع:

أنظر :عوض الله جاد حجازي، مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام .

أدولف إرمان،الديانة المصرية القدسية.

ول ديورانت:قصة الحضارة.

ثانيا: الديانات ذات أصل سماوي

1- الديانة اليهودية:

أولا/ مدخل عام حول الديانة:

تأتي أهمية الديانة اليهودية للمكانة التي تتبوأها الديانة اليهودية في تاريخ الأديان فهي أقدم الديانات التوحيدية،ولها دور كبير في فهم طبيعة ديانات الشرق الأدنى القديم، مع علاقتها بالدينية بالمسيحية والإسلام ، بالإضافة إلى أهميتها في فهم التاريخ اليهودي ، ومعرفة علاقة كثير من الحركات السياسة المعاصرة بالديانة اليهودية.

أسدت الديانة اليهودية التوحيدية خدمة جليلة في فهم طبيعة ديانات الشرق الأدنى القديم غير التوحيدية التي اعتقدت في تعدد الآلهة وهو نموذج من نماذج التدين استشرى في العالم القديم.وقد كانت ديانة بني إسرائيل التوحيدية طفرة في طبيعة الفكر الديني القديم المتعدد الآلهة باعتماده على مظاهر الطبيعة المختلفة، تميزت الديانة اليهودية مع موسى عليه السلام بنظرة تصحيحية لفكرة وحدانية الإله و الحط من شأن الآلهة الطبيعية.

فاليهودية ديانة توحيدية في جوهرها ضمت عدد من الدعوات النبوية التي أتى بها بنو إسرائيل وكلها تركز على التوحيد كعقيدة أساسية وتدعو على تطهير التوحيد من التأثيرات الوثنية التي انبثقت عن اتصال جماعة بني إسرائيل الموحدة بعدة شعوب وثنية محيطة بها مثل المصريين و الكنعانيين والآريين و الفلسطيني وشعوب بلاد النهرين و الفرس والرومان وغيرهم.

كما اضطلعت الديانة اليهودية بدور- لا يقل عن الدور الذي لعبته مع الديانات الوثنية- مع الديانات التوحيدية ، فالديانة اليهودية تمثل المرجعية الدينية التوحيدية للديانة المسيحية فرسالة السيد المسيح عليه السلام أساسها توحيدي لها تمتد جذور بالديانة اليهودية باعتبار رسالته دعوة لتصحيح العقيدة الدينية اليهودية ، و المسيح كما ورد في الإنجيل بصريح العبارة أنه بعث لخراف بني إسرائيل الضالة مهمته تطهير الديانة اليهودية مما لحقها من تشويه على أيدي رجال الدين مما أدت على إصابة الديانة بالجمود الديني والتعصب المقيت ، والتركيز على النزعة المادية الغليظة على حساب الروحانية التوحيدية وابتعادها عن التسامح والمحبة تجاه الأجناس الأخرى ، والشعور بالاستعلاء والتميز وتأويل العهد المقطوع مع الرب تفسيرا قوميا وقد أتت دعوة المسيح بمفاهيم إصلاحية لهذه الأوضاع الدينية اليهودية، وقد اتخذت دعوة عيسى عليه السلام من أسفار العهد القديم أسفارا دينية مقدسة،واستمر تأثير اليهودية في المسيحية حتى بعد تطور المسيحية واستقلالها عن اليهود ظل الكتاب المقدس للمسيحية يضم كتب العهد القديم ككتب دينية مقدسة بالإضافة إلى كتب العهد الجديد.

وحتى مع انفصال المسحية عن اليهودية تظل اليهودية ملازمة في فهم دعوة المسيح ، وفي معرفة المسيحية الأولى وكشف النقاب على التغيرات التي طرأت على المسيحية خلال تطورها، وفهم الآراء التفسيرية الجديدة لمادة العهد القديم لتتفق مع معطيات المسيحية الجديدة أيضا لفهم الكثير من مادة العهد القديم.

وقد تجددت الحاجة إلى معرفة اليهودية وتراثها عند بعض المذاهب والفرق المسيحية الأصولية التي تعود إلى الكتاب المقدس كأصل أول للاعتقاد و تعتقد حرفيا في نبوءات و يتجلى هذا بوضوح في المذهب البروتستانتي و الفرق الإنجيلية المنبثقة عنه والأصوليات الناجمة عنها.

ويتجلى دور اليهودية أكثر في معرفة الإســـلام ، فالديانتان يشـــتركان في عدد من المعتقدات و المفاهيم الدينية رغم الاختلاف في تفســـيرها مثل التوحيد و النبوة و الوحي والكتاب و الملائكة و البعث والثواب و العقاب فهناك قاعدة مشتركة بين الديانتين، تقدم الديانة اليهودية تفسيرا للأنبياء والرسل السابقين بخاصة الذين أرسلوا على بني إسرائيل والذين طالب الإسلام المسلم بالإيمان بهم ودعوتهم و رسلهم.

والإســـلام يوجب على معتنقيه الإيمان بالكتب المقدســـة الســـابقة ومنها التوراة والإنجيل وهي ذات أهمية في فهم بعض قصص القران الكريم، والمرتبط بالأنبياء والرسل عليهم السلام. والمفسر المسلم في أمس الحاجة للقصص القرآني للعودة إلى المصادر اليهودية مثل العهد القديم لتوضيح بعض ما ورد مجملا من هذه القصص أو للاستعانة بها في الحصول على مادة تفسيرية إضافية طالما أن هذه المادة لا تخالف في مضمونها الرؤية القرآنية الإسلامية.لذلك لا تخلو كتب التفسير القديمة من الآراء اليهودية.

وقد سمح عدم الدقة في مراعاة هذه ا لشروط بدخول مادة إسرائيلية مخالفة للتعاليم القرآنية وأصبحت هذه المادة في بعض الكتب التفسير والتاريخ تمثل مشكلة اصطلح على تسميتها بمشكلة الإسرائيليات وهنا تظهر أهمية الديانة ومصادرها مرة أخرى لأن التعرف على الفكرة الإسـرائيلية التي تسـربت على بعض المصـادر الإسـرائيلية لا يمكن أن يتم بدون العودة إلى أصلها في المصادر اليهودية.

ولليهودية أهمية خاصة بالنسبة لفهم التاريخ اليهودي فقد اختلط الدين بالتاريخ عند بني إسرائيل إلى حد أن فهم كل منها لا يتم إلا من خلال معرفة الآخر وأحداث التاريخ اليهودي أصبحت تفسر تفسيرا دينيا من جانب المؤرخ اليهودي كما أن العديد من الأفكار والمفاهيم الدينية تقوم على أساس تاريخي .

فأحداث الخروج من مصـــر مثلا لا يمكن فهمها داخل إطار تاريخي بحت ولكننا ربطت بالدين فأصـــبحت أحداثا دينية وكذلك الحال بالنسبة لأحداث السبي الآشوري والبابلي والروماني، والشتات اليهودي العام ثم أيضا تفسيره داخل الدين.

ولا يمكن فهم الصهيونية الحديثة بعيدا عن مجال الدين اليهودي فالصهيونية اعتبرت الحلقة الأخيرة والنهاية الحتمية للتاريخ اليهودي .

واستخدمت الصهيونية الحديثة الدين اليهودي لتوصيل فكرها القومي إلى اليهود و ربطه بمسيرة التاريخ اليهودي العام، وتأتي فكرة الخلاص الدينية كأهم فكرة دينية استغلها استغلالا سياسيا و تحول الخلاص الديني على يد الحركة الصهيونية إلى خلاص سياسي.

ورغم علمانية الفكر الصهيوني فغنه توسع في استخدام الدين اليهودي لتحقيق المصلحة الصهيونية ، وبالتالي فالفهم الحقيقي للأيديولوجية الصهيونية يتطلب معرفة جيدة بالديانة اليهودية خاصة وأن الفكر الصهيوني طور الصهيونية دينية كمذهب صهيوني مهم إلى جانب أشكال الصهيونية العلمانية المختلفة التي سادت في التفكير اليهودي المعاصر.

ثانيا/كتاب اليهود المقدس:

ماهية العهد القديم وأهميته في الديانة اليهودية

مفهوم العهد القديم:

العهد القديم هو التسمية العلمية لكتب اليهود المقدسة، وتعتبر التوراة جزءا من العهد القديم كما سنبين فيما بعد ، وقد تطلق التوراة على العموم من باب إطلاق الجزء على الكل ،أو لمكانة التوراة ونسبتها على موسى عليه السلام لأنه يتبوأ مكانة مرموقة بين أنبياء اليهود بالإضافة إلى إن تاريخهم الحقيقي يبدأ عنده.

والعهد القديم مقدس لدى اليهود ولدى المسيحيين مع مايحصل من خلاف حول عدد أسفاره ، فبعض أحبار اليهود يضيفون أسفارا لا يقبلها أحبار آخرون.

أول من أطلق اسم العهد القديم بولس الرسول في رسالة الثانية إلى أهل كورنتوس وفقد اعتبر العهد القديم قبل ظهور العهد الجديد أعني الأناجيل وسائر الرسل كتابا مقدسا للمسيحية.

أما عند اليهود فيسمى تناخ وهي الحروف الأولى لأقسام العهد القديم توراة، نبيئيم نكتوبييم.

ومن الأسماء المتداولة عند اليهود لتحديد هذا الكتاب المقروء أي النص المقروء، لأنهم مطالبون بقارئته في عبادتهم والرجوع إلى الأحكام الشرعية التي تنظم حياتهم.

ويعرف كذلك باسم المسورة أو المسورات والذي يعني أنه مروى عن الأسلاف رواية متواترة.

أقسام العهد القديم:

تقسم أسفار العهد القديم على ثلاثة أقسام رئيسة :

القسم الأول : التوراة وتشمل أسفارا خمسة هي: التكوين الخروج، اللاويين، العدد، التثنية.

1- **سفر التكوين** : يأتي سفر التكوين بمعنى الخلق وهو ترجمة للكلمة اليونانية التي ترد بمعنى تكوين أو خلق، أما في النسخة العبرية فترد براشيت أي في البدء، وهي كلمة الأولى التي تبدأ بها السفر.

وغلب استعمال هذا السفر على هذا الجزء لاشتماله على قصة خلق العالم، وخلق الإنسان : في البدء خلق الله السماوات و الأرض وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه القمر ظلمة و روح الله يرف على وجه الماء، وقال الله ليكن نور فكان نور و رأى الله النور أنه حسن، وفصل الله بين النور والظلمة ودعا الله النور نهارا والظلمة دعاها ليلغا وكان مساء وكان صباح يوما واحد.

بالإضافة على أن هذا نجد أن هذا السفر يحوي قصة الخطيئة التي ارتكبها أبو البشر ونزوله إلى الأرض عقابا له، ثم حياة أولاده وما جرى بينهم فقصة الطوفان ونشأة الشعوب بعده، وقصة إبراهيم وتجواله ونسله على إسحاق ويعقوب وأولاد يعقوب ونجاحه يوسف وما جرى له إلى أن أصبح ذا شأن كبير بمصر وبموت يوسف ينتهي هذا السفر.

ثانيا– سفر الخروج: ويسمى خروج ترجمة للكلمة اليونانية بمعنى خروج وفي العبرية يرد بلفظ إليه شيموت أي أسماء وهي الكلمة الأولى التي يبدأ بها السفر.

وغلب استعمال الخروج على هذا السفر لتناوله خروج بني إسرائيل من مصر ويحوي هذا السفر قصة بني إسرائيل بعد يوسف عليه السلام وما عانوه من الفراعنة وظهور موسى عليه السلام وخروجه بهم من مصر والملاحظ أن هذا السفر يحوي قسمين أساسين قسم تاريخي و قسم تشريعي ومنه يمكن تحديد المحاور الكبرى التي تتناول السفر وتتمحور فيما يلي:

- وضعية بني إسرائيل بعد استقرارهم بمصر بحيث كثروا بعد يوسف عليه السلام حتى قام ملك جديد على مصر فأذل القوم وجهد على تقليل عددهم بقتل أنبيائهم واستحياء نسائهم حتى برز موسى عليه السلام.

أوضح السفر خروج موسى من مصر ونجاحه من القتل.

- بروز الوصايا العشر التي تعد صلب الديانة اليهودية، ويحوي السفر وصايا تشريعية وتعاليم دينية خاصة وتقاليد منها وصف خيمة الاجتماع وتابوت العهد وهذه كلها تمثل معالم الديانة اليهودية1-

ثالثا– سفر اللاويين:

ويسمى لاويين ترجمة للكلمة اليونانية أي لاةيينن أما في العبرية فيرد بلفظ **ويقرا** أي ودعا وهي الكلمة الأولى التي يبدأ بها السفر.

وأسم لاويين نسبة إلى أسرة لاوي أو ليفي، ويحتوي هذا السفر كثيرا التشريعات والوصايا والأحكام، مثل كفارات الذنوب والأطعمة المحرمة، كما يحتوي عددا من الأمور المتعلقة بالعادات والأوامر الدينية التي يستحق من اتبعها الثواب ومن خالفها العذاب،

ويختم هذا السفر بهذه العبارة هذه الوصايا التي أوصى الرب بها موسى إلى بني إسرائيل في جبل سينا.

رابعا– سفر العدد :

يسمى العدد ترجمة للكلمة اليونانية ويطلق عليه في اللغة العبرية **بمدبر**. ويسمى بذلك لأنه يغلب عليه استعمال العدد و الإحصاء حيث ذكر تعداد أسباط بني إسرائيل وفيه ترتيب لمنازلهم حسب أسباطهم حيث ذكر تعداد أسباط بني إسرائيل وكذلك إحصاء الذكور من قبل موسى عليه السلام ماعدا اللاويين الذين استثناهم من الإحصاء حيث كلفوا بالعمل في خيمة الاجتماع .

يحوي هذا السفر على سيرة بني إسرائيل في برية سيناء وما بعدها، فهو بذلك استمرار لما ورد في سفر الخروج وفيه كثير من التنظيمات والتعاليم الطقسية والكهنوتية والاجتماعية، والمدنية، وبه كذلك حديث عن حروب بني إسرائيل ضد المدنيين، وتعرض السفر لجملة من الشرائع مثل البركة الكهنوتية وتكريس اللاويين للخدمة،والاحتفال بعيد الفصح.

خامسا– سفر التثنية: يسمى في اللغة العبرية **هدب ريم** وهي أول كلمة يبدأ بها السفر ويسمى أيضا تثنية الإشتراع أي تكرار الشريعة وإعادتها على بني إسرائيل مرة ثانية عند خروجهم من سيناء، ويسمى في اللغة اليونانية

وفي هذا السفر عرضت الوصايا العشر عرضا جديدا كما أعيد الكلام عن الأطعمة الحلال والحرام وعن نظام القضاء والملك عند بني إسرائيل وتحدث هذا السفر عن الكهنة والنبوة كما تحدث عن انتخاب يشوع بن نون خلفا لموسى، وينتهي السفر بخبر وفاة موسى ود فنه في جبال مؤاب.وهو يحوي على أربعة وثلاثين إصحاحا، ويعود زمن اكتشافه إلى **الملك يوشيا**(وفي السنة الثامنة عشر للملك يوشيا أرسل الملك شافان بن أصليا بن مشلام الكلام يوشيا إلى بيت الرب قائلا: اصعد إلى حلقيا الكاهن العظيم فيحسب الفضة المدخلة إلى بيت الرب التي جمعها حارسو الرب من الشعب).

وعندما ذهب شافان الى حلقيا أخبره بأنه قد وجد سفر الشريعة فقال حلقيا الكاهن العظيم لشافان الكاتب قد وجدت سفر الشريعة في بيت الربق وسلم حلقيا السفر لشافان فقراه.

تاريخ اليهود:

من عهد يعقرب (عليه السلام) إلى خروجهم من مصر :

ينسب اليهود إلى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، ولقد تحدثت التوراة عن قصة نزوح إبراهيم (عليه السلام) من فدان أرام بالعراق حين أمره الله بالهجرة إلى أرض كنعان

ومعه زوجه سارة وابن أخيه لوط، جاء في التوراة (وقال الرب لأبرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك، فأجعلك أمة عظيمة وأبارك وأعظم اسمك وتكون بركة، وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه، وتتبارك في فيك جميع قبائل الأرض، فذهب أبرام كمت قال له الرب وذهب معه لوط، وكان أبرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران، فأخذ أبرام ساراي امرأته ولوطا ابن أخيه وكل مقتنياتهما، التي اقتنيا والنفوس التي امتلكا في حاران، وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان)

لبث إبراهيم في فلسطين مع أبنائه، وعندما كبر يعقوب ابن إسحاق رحل فيما بعد هو وأبناؤه، ولكن يعقوب لم يلبث هناك فرحل فيما بعد هو وأبناؤه وأسرهم إلى مصر، واستقروا بها كما تشير التوراة إلى ذلك : (ثم قام في تلك الليلة وأخذ إمرأتيه وجاريتيه وأولاده الأحد عشر وعبر مخاضة يبوق أخذهم وأجازهم الوادي وأجاز ماكان له فبقي يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتى طذلوع الفجر، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه، فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه، وقال أطلقني لأنه طلع الفجر، فقال لا أطلقك إن لم تباركني، فقال له ما اسمك، فقال يعقوب، فقال لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت وسأل يعقوب وقال اخبرني باسمك، فقال لماذا تسأل عن اسمي، وباركه هناك)

الطور الثاني –

خروجهم من مصر إلى تأسيسهم الملكية (1645 إلى 1080 ق.م)

سجلت التوراة أسباب هذه الرحلة حين هاجر يعقوب مع قومه من فلسطين إلى مصر انتجاعا للكلأ وطلبا للرزق، واستقبهم الوزير الأول بمصر يوسف (عليه السلام)

فأكرم مثوى أبيه وإخوته، وعطف عليهم قلب فرعون ملك مصر، وظل بنو إسرائيل حينا من الدهر ينعمون بكرم الحكام المصريين ورعايتهم، فارتقى أكثرهم أعلى المناصب، ولكن موقف الحكام المصريين تغير منهم فيما بعد إلى نقيض ما كانوا عايه، لخشية المصريين من استفحال نفودهم في البلاد، فأصبحوا موضع مقتهم واضطهادهم يسومونهم سوء العذاب يذبحون أبناءهم، ويستحيون نسائهم، ويتخذون منهم عبيدا

وبقي بنو إسرائيلا ردحا من من الزمن يرزحون تحت نير هذا الإستعباد، حتى أرسل الله إليهم وإلى فرعون وقومه رسولين هما موسى وأخوه هارون (عليهما السلام) يبلغانهم رسالة التوحيد ويدعوانهم إلى عبادة الله وحده .

وظل موسى وهارون وبنو إسرائيل بعد ذلك في مشادات مع فرعون وقومه، حتى أتيح لهم الخروج من مصر إلى صحراء سيناء في قصة مشهورة ذكرت في القرآن الكريم

وتحدثت عنها التوراة .

وقد تغير حال اليهود أثناء الفترة التالية لخروجهم من مصـر، حتى اسـتقرارهم في أرض كنعان وظلوا ما يقارب أربعين سـنة يضربون في صحراء سيناء والمناطق المجاورة لها فظلوا تائهين، وقد طلب منهم موسى دخول أرض كنعان التي وعدهم الله بها، فتقاعسوا عن ذلك جبنا وضعفا، فكتب الله عليهم هذا التيه حتى يفنى هذا الجيل الجبان، ويعوضه جيل آخر أصلب عودا وأقوى عزيمة، وفي أثناء هذه الفترة توفي هارون ثم موسى (عليهما السلام) .

ويرجح كثير من الباحثين تاريخ دخول اليهود، وإقامتهم بفلسـطين إلى عام 1645 ق.م هروبا مع موسى (عليه السـلام) من اضطهاد المصريين .

الطور الثالث–

من تأسيسهم الملكية إلى أسر بابل (1080 إلى 536 ق.م)

يذكر التاريخ اليهودي أنه بعد فترة من دخول اليهود أرض فلسطين مع موسى و يوشع بن نون نصبوا شاؤول ملكاً عليهم سن 1020 ق.م، و قد قتل فيما بعد على أيدي الفلستينيين خلال معارك كثيرة معهم، وفي عهده حالت الفتن الداخلية، والأطماع الخارجية من القبائل المجاورة دون استقرار ملكه 16 ، فتولى أمر الملك بعده داود (عليه السلام) حوالي 1000 إلى 961 ق.م، وقد قاوم داود الفلستيين وتمكن من اخضـاعهم سـنة 990ق.م، وسـيطر على مقاليد الأمور بفلسـطين، وأجبر أهل دمشق على دفع الخراج، وقهر ثورة الولايات الشمالية في مملكته بعد معار طاحنة، ةزتابعه على نفس المنوال ابنه سـليمان الذي تربع على العرش من بعده حيث حقق نجاحا مذهلا في تنظيم الحياة الإقتصـادية للبلاد، وذلك بتخطيطه المحكم حين فرض على اليهود العمل الإجباري بعد أن اعتادوا الراحة والكسل .

وقد كان لتمرد بعض القبائل والجماعات بروز الإنشـقاقات داخل الشـعب اليهودي أن عجل بتقسـيم دولة سـليمان إلى جزئين : يهوذا في الجنوب، وإسرائيل في الشمال، وبذلك انهارت المملكة اليهودية المتحدة سنة 922 ق.م

الطور الرابع –

من الأسر البابلي إلى الإستعمار الروماني (536إلى 135 ق.م)

أغار بختنصـر ملك بابل على فلسـطين عام 596 ق.م فأزال عرش بني إسـرائيل، وأخذ الكثير منهم إلى بابل فظلوا في الأسر زهاء خمسين سنة، وعندما تغلب كورش ملك الفرس على البابليين عام 539 ق.م، أطلق صراح اليهود، ورجع كثير منهم إلى فلسطين ونصب عليهم رجل من آل داود، وأمره بتعمير بيت المقدس وبناء الهيكل

و قد كانت انحرافاتهم الدينية السمة الغالبة في تلك الفترة، و صاحب ذلك تمزق للشمل، و اضطهاد و تنكيل حتى تغلبت عليهم الروم سنة 63 ق.م، فلم تقم لهم بعد ذلك قائمة[17]

الذي حكم البلاد تحت وصاية الإمبراطورية من سنة 37 إلى سنة 4 ق.م، ثم تولى الحكم من بعده ابنه أركلوس.

و كان الملك اليهودي هيرودس الأكبر صديقا حميما مقربا للرومان، حيث كان الشعب يكابد و يصارع الآلام إليه على أنه استولى على مقاليد الحكم عنوة[18] و تميزت فترة حكمه بعدم مراعاة الشعور الديني لليهود، فلم يحترم الملك ديانتهم، و جاهر بمخالفته لأحكام التوراة، و لم يذعن لوصايا موسى و شرائعه، و اغتصب امرأة أخيه و تزوجها فأنجبت له ولدين مع أن التوراة لا تبيح هذا العمل، و اقترف عمله الشنيع بقتل النبي يحي (عليه السلام)، و تجرأ على تحطيم الهيكل و قد ساهم هذا الجو السياسي المضطرب في تفاقم و تأزم الوضع الاجتماعي، فتكونت منظمات سرية همها مقاومة الاستعمار الروماني، و تطهير الوسط اليهودي من الخونة و المتعاملين مع السلطة يقول ول ديورانت (فكان العضو منهم يندس وسط المجموعات في الشوارع و يطعن فريسته بخنجر من خلفه و يتخفي بعد ذلك من الجماهير) فكثرت بذلك الأعمال الإرهابية، و طغت على الساحة أساليب العنف، فحلت الفوضى و اللااستقرار، فساد الهلع و الخوف بين اليهود فأدى كل هذا إلى انقسام اليهود إلى فئتين:

فئة شيوخ اليهود و أثريائهم الذين كانوا يدعون الناس إلى الكف عن الإرهاب و العنف، و إن يصبروا على ما حل بهم، و حجتهم في ذلك أن الثورة على هذه الإمبراطورية العظيمة ليس إلا انتحارا.

و فئة الشباب المتحمس المعارض للسلطة و أتباعها، و قد أدى التنافس بينهما إلى انقسام مدينة القدس إلى جزئيين: استولى فريق على الجزء الأعلى من المدينة، و الآخر على جزئها الأدنى، و احتدم الصراع و وصل الأمر إلى نشوب معركة دامية بين الطرفين عانم 67 م أعدم المتحمسون من الشباب ما يقارب 12000 من بني جلدتهم، و قد اغتر المتحمسون بانتصارهم فأعلنو الثورة على الإمبراطورية الرومانية، و لكن عزيمتهم و إرادتهم لم تكن كافية لمواجهة هذه الإمبراطورية القوية، فحدثت المأساة الكبرى، و سالت أودية من الدم اليهودي، و مات من اليهود عشرون ألفا و بيع آلاف غيرهم في أسواق الرقيق.

و لم يبال الملك هيرودس لاحتجاج اليهود و مخاوفهم، فأقام هيكلا جديدا، و جعل في داخله تمثال نسر من الذهب فاعتدى بذلك على الديانة اليهودية و تحريمها للصور المنحوتة[19]. ولم يكتف بمخالفة الأحكام التوراتية، بل تنكر لليهود

المقربين منه فأبعدهم من حوله، وأحاط نفسه بالمفكرين اليونان، وعهد إليهم الإشراف على المراكز العليا في البلاد، فعين نقولاس الدمشقي اليوناني مستشاره ووزيره الرسمي، وعن طريقه تأثر الملك بالحضارة اليونانية، فاستهوى قلبه بريقها فأعجب بها، وحاول صبغ البلاد بالصبغة اليونانية فشيد في الشوارع العمومية تماثيل يونانية، وبالمقابل عمل على معاداة التقاليد اليهودية مما جعل حقد اليهود ينفد بسرعة فائقة، فنفد صبرهم فجاهروا بعداوتهم للسلطة الحاكمة.

كما سعى الملك إلى سن قوانين لابتزاز أموال الشعب، وزيادة مجحفة في الضرائب وصلت حد الإرهاق، وإثقال كاهل اليهود،فكان اليهودي يؤدي ضريبتين، إحداهما للهيكل والأخرى للدولة، ولم تستقر الضرائب على قيمة واحدة، بل كانت في ازدياد مذهل، خاصة عند نشوب الحروب بين الرومان وغيرهم.

وإزداد الوضع تأزما حين تواطأ الملك مع الجنود الرومان فأحرقوا الهيكل، ونهبوا ما فيه من كنوز، وحل بهم الخوف والفزع حتى استحوذ اليأس على الكثير منهم فقتلوا أنفسهم .

المراجع:

أحمد شلبي: الديانة اليهودية.

- عوض الله جاد حجاز مقارنة الأديان دار الطباعة المحمدية بالأزهر 1977م

ول ديورانت ،قصة الحضارة.

LES ،« JUIFS, CHRETIENS ET ROMAINS"[1] CHRISTIANE – S, DOSSIERS DE LA BIBLE . PARIS N 10 ,

صبري محمد ، تاريخ فلسطين القديم ، الطبعة الخامسة . بيروت ، سنة

جيمس هنري يرستد، فجر الضمير، ترجمة سليم حسن، مراجعة عمر الإسكندري وعلي أدهم ،

2-الديانة المسيحية:

تمهيد/

تنسب الديانة إلى المسيح عيسى عليه السلام ،الذي ولد في بيئة يهودية ،وأبان أن الغرض من دعوته أنها إعادة اليهود إلى ديانة موسى عليه السلام، وهذه أهم معالم هذه الديانة

أولا/ الأناجيل عند المسيحيين:

يحتوي الكتاب المقدس للنصارى على جزأين أساسيين :

أ- العهد القديم : يغطي هذا الجزء فترة من التاريخ، تبدأ مع بدء الخليقة، وتشـــتمل تاريخ اليهود، وأخبارهم وتاريخ أنبيائهم.

ب- العهد الجديد : وهو الجزء الخاص بالنصارى، والذي ظهر بعد مجئ المسيح (عليه السلام)، وإن اختلفت النصارى حول أقسامه إلا أن المذاهب النصرانية اتفقت على جزء منه، والذي ظل القاسم المشترك بينهم جميعا وهو الأسفار التاريخية أو ما يعرف بالأناجيل، وهي أربعة : إنجيل متى، وإنجيل مرقص، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا.

و قد تضمنت هذه الأناجيل أخبار المسيح ' عليه السلام) وكل ما يتصل بنسبه ومولده إلى وقت صلبه، ثم خروجه من قبره ورفعه، وقد زعم النصارى أن هذه الكتب هي المصدر الوحيد الذي اشتمل على المنظومة اللاهوتية للعقيدة النصرانية وهي : ألوهية المسيح، وقضية التثليث، ومسألة الصلب والفداء .

و هكذا ظلت الأناجيل المصدر الوحيد الذي ظل يمد النصارى بتعاليم المسيح، وبسيرته، ولذا ينبغي أن نقوم بدراسة وافية لهذه الكتب بهذا عندهم.

فالإنجيل كلمة يونانية الأصـل يبدأ به إنجيل مرقص، ومعناها أخبار سـارة أو البشـرى ، ولذلك فإن المسـيح وصـف دعوته ببشـرى الخلاص، وذكرت عند حواريه من بعده بنفس المعنى، فيقول مرقص في إنجيله : " وبعدما أسـلم يوحنا جاء يسـوع إلى الجليل يكرز ببشـــارة ملكوت الله، ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل " ثم تطور مدلول هذه الكلمة فأطلقت بمعنى الكتاب الذي يتضـمن هذه البشـرى، وقد غلب اسـتعمالها بهذا المعنى فيما بعد فيقال : إنجيل متى، إنجيل مرقص، إنجيل يوحنا، وسنتتبع كل إنجيل فيما يلي :

1- إنجيل متى:

ينسب هذا الإنجيل إلى تلميذ المسيح متى، ويدعى لاوى بن حافى، وكانت وظيفته جمع الضرائب بفلسطين لصالح الرومان،ولم تكن هذه الوظيفة محترمة عند اليهود في ذلك العصر لأن صاحبها يكون بالضرورة عميلا للإمبراطورية الرومانية، وقد سمع متى بدعوى المسيح فآمن به، وتبعه وأصبح من تلامذته الإثنى عشر المقربين ، وقد أشار إنجيل متى إلى ذلك في قوله : (وفيما يسوع مجتاز من هناك رأى إنسانا جالسا عند مكان الجباية اسمه متى، فقال له اتبعني، فقام وتبعه).

وقد أفاضت روايات الإنجيل بالتنويه عن إخلاصه للمسيح، فأول ما قام به متى كتلميذ المسيح أنه أعد وليمة احتراما له، وقد دعا إليها جمع من الناس، ودلك ليقدم بهم فرصة لسماع دعوة المسيح .

وزعم النصارى بأن متى لازم المسيح، ولبث معه مبشرا، وعندما رفع المسيح عمل متى على مواصلة الدعوة، فبشر بفلسطين، ثم جال في بلاد كثيرة مبشرا حتى استقر بالحبشة فآمن بدعوة المسيح الكثيرون حتى أقلق دلك ملك الحبشة، فسلط عليه جنوده، فأذاقوه ألوانا من العذاب حتى مات .

أما عن إنجيله فقد اختلف المؤرخون النصارى حول تاريخ تدوينه، فقد أشار المؤرخ ايرونيموس أن متى كتب إنجيله في بيت لحم باللغة العبرانية سنة 39م، إلا أن أغلب المؤرخين خالفوه في ذلك، ولم يتفقوا على تاريخ التدوين، وذكروا تواريخ كثيرة ومع أنهم أجمعوا بأنه كتب باللغة العبرية، إلا أنه وجد عندهم باللغة اليونانية، ولذلك فإن مترجم الكتاب من العبرية إلى اليونانية سكتت المصادر النصرانية عن ذكره أو الإشارة إليه، إلا المؤرخ ابن البطريق الذي يقول : " بأن متى كتب إنجيله بالعبرانية في بيت المقدس، وفسره من العبرانية إلى اليونانية يوحنا الإنجيلي " لم يوافقه أحد من الباحثين ، فالمراجع عندهم أن المترجم لم يعرف.

أما عن مضمون هذا الإنجيل، فإن الخط العام الذي سلكه هو تكملة سرد تاريخ اليهود وبيان الغاية من نزول المسيح وأنه بعث ليكمل رسالة الأنبياء، لذلك فإن الدارس للعهد القديم وإنجيل متى يلمس استشهادات كثيرة من العهد القديم في إنجيل متى، فقد أشار بعض المحققين إلى أن حياة المسيح وآلامه كما وردت في إنجيل متى مقتبسة من العهد القديم، فلذا يبدو من ثنايا فقراته أنه يخص اليهود دون غيرهم ، جاء في متى : (هؤلاء الإثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا : إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة).

2- إنجيل مرقس :

ينسب هذا الإنجيل إلى يوحنا الملقب بمرقص، وهو من أصل يهودي، وأمه مريم هي أخت برنابا الحواري، وقد كان مرقص من أوائل الذين استجابوا لدعوة المسيح، فاصطفاه من جملة السبعين رسولا، وظل ملازما للمسيح .

لبث مرقص في بلاد فلسطين يبشر برسالة المسيح، ثم لازم خاله برنابا وبولس الرسول في رحلتهما التبشيرية إلى أنطاكية حوالي سنة 45 م ، ثم إلى قبرص وبعض جهات آسيا الصغرى، ثم رجع إلى بيت لحم، ومكث هناك حتى سنة 50 م ، ثم رافق خاله برنابا في رحلة تبشيرية أخرى إلى قبرص، وفي حوالي سنة 52م اتجه نحو شمال إفريقيا، ثم عاد إلى مصر واستقر بالإسكندرية سنة 61م يبشر برسالة المسيح، ثم اتجه إلى روما تلبية لدعوة بولس الرسول، فبشر هناك ثم عاد إلى مصر، واستقر بها يبشر بالدعوة الجديدة ولكن الأعداء المتربصين به من الوثنيين هجموا عليه، ووضعوا حبلا في عنقه، وراحوا يجرونه في طرقات المدينة، حتى تمزق لحمه، ونزف دمه، وكان هذا أثناء احتفاله بعيد القيامة في 26 أبريل سنة 68م.

أما عن إنجيله فهو أقصر وأوجز الأناجيل الأربعة، ويتفق المحققون النصارى بأنه كتب باللغة اليونانية ويميل البعض إلى أنه دونه بمصر 20 في عصر **نيرون** وذلك بعد الاضطهاد الذي مس رجال الدين، فقتل الكثير فمنهم مما أدى إلى تخوف الكنيسة المصرية من زوال تعاليم المسيح، لدلك طلبوا من مرقص وهو زميل بطرس الرسول – أنجب تلاميذ المسيح – أن يدون ما يتذكره من أقوال المسيح ووصاياه، فكتب إنجيله 21 ، واختلف المؤرخون حول تاريخ تدوينه .

3- إنجيل لوقا :

ينسب هذا الإنجيل إلى لوقا، وهو أحد السبعين رسولا، وقيل أن سبب إيمانه بالمسيح أنه سمع أنباء ظهوره بفلسطين، وانه يشفي من جميع الأمراض بغير دواء أو عقار، فظن بأنه ساحر أو كاهن، فقصد إلى حيث المسيح ليتحقق من ذلك الخبر، فرأى المسيح وآمن به، وقد اختلف الباحثون حول جنسيته ومهنته.

وقد لازم لوقا القديس بولس في أغلب رحلاته التبشيرية كما يتضح من سفر أعمال الرسل، فقد رافقه في رحلته إلى رومان ولبث معه كل المدة التي كان بها هناك، لذلك فإن بولس أثنى عليه كثيرا بأنه الطبيب الحبيب.

أما عن نهاية حياته فقد صورتها المصادر النصرانية أشبه بالأساطير والخرافات، فزعم النصارى أن الإمبراطور **نيرون** أمر بقطع يده التي كان يكتب بها، فلما قطعت تناولها وألصقها في مكانها فالتصقت، وبعد أن آمن به الحاضرون بما فيهم وزير الملك وزوجته، أمر الملك جنوده فقطعوا رؤوس من صدقوه . وأما لوقا فبعد أن قطعوا رأسه، جعلوا جسده في كيس من شعر ثم

ألقوه في البحر، وزعموا أنه بتدبير من الله قذفت به الأمواج إلى جزيرة، فوجده أحد المؤمنين فأخذه، وكفنه بما يليق، ثم نقلت جثته من طيبة إلى القسطنطينة بأمر من الإمبراطور قسطنطين الثاني فحفظت في كنيسة الرسل.

أما عن إنجيله فقد كتبه باللغة اليونانية، وأوضحت فقراته الأولى الغرض من تدوينه بأنه كتب لشخص يدعى ثاوفيلس، يقول لوقا : " إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتينة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة، ورأيت أنا أيضا إذ قد تتبعت كل شي من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي علمت به" ، ولقد اختلف الباحثون حول جنسية الشخص الذي كتب له لوقا إنجيله، وكذلك اختلفوا حول تاريخ تدوينه.

إن المتفحص لهذا الإنجيل يلمس ميزات خاصة تميزه عن باقي الأناجيل تتمثل فيما يلي :

1- إنه الإنجيل الوحيد الذي يعرض سيرة المسيح كاملة منذ البشارة بميلاده إلة صعوده إلى السماء، وقد اشتمل على الكثير مما رواه متى ومرقس في إنجيليهما، وانفرد بروايات كثيرة لم تتناولها الأناجيل الأخرى .

2- أبرز إنجيل لوقا بشرية المسيح، فقد ذكره وهو في بطن أمه، وولادته، وقد اهتم لوقا أكثر من غيره بإيراد المرات التى صلى فيها المسيح، وبهذا ينفي لوقا الألوهية عن المسيح.

3- أبدى الإنجيل عناية خاصة بالمرأة، فأورد ذكر الكثيرات من النساء ممن لم تذكرهن الأناجيل الأخرى، ومنهن على الخصوص اليصابات أم يوحنا المعمدان22.

إنجيل يوحنا :

ينسب هذا الإنجيل إلى يوحنا الحواري بن زبدى، ولد في بيت صيدا بالجليل، وكانت أمه أخت العذراء ميرم، وكان يعمل هو وأخوه مع أبيهما في صيد السمك، فدعاهما المسيح فتركا أباهما وتبعاه.

و ظل يوحنا ملازم للمسيح وللرسول بطرس، ولقد انفرد يوحنا في إنجيله بالنص على أن المسيح كان يحبه ويقربه منه، وقد اشترك مع بطرس في إعداد عيد الفصح بأمر من المسيح، وكان مهابا ومحترما بين التلاميذ خاصة وحين مرافقته للمسيح أثناء صلبه، فكان الوحيد الذي تجرأ على السير دون خوف أثناء محاكمة المسيح.

و لقد نوّه المؤرخون النصارى بدوره الفعال في نشر التعاليم النصرانية خاصة في آسيا الصغرى، وقد أيّد بخوارق عجيبة – حسب اعتقادهم – أبهرت العقول، فكانت سببا في دخول أهل مدينة أفسس باليونان كلهم إلى الديانة النصرانية، وأسس كنائس في أقاليم كثيرة.

و قد أسهمت انتصاراته التبشيرية والتفاف الناس حوله على إثارة غضب السلطة عليه، فأصدر الإمبراطور دومتيانوس قرارا بنفيه إلي جزرة بطمس، وهناك كتب إنجيله ورسائله باللغة اليونانية، ومات عند بلوغه المائة عام، ودفن بالقرب من مدينة أفسس .

أما عن الإنجيل الذي كتبه يوحنا، فيبدو أن له شأنا مغايرا لباقي الأناجيل، فقد نصت فقراته على ألوهية المسيح، فوصف المسيح بأنه خالق العالم ومنقذ البشرية، كما نلتمس بجلاء أثر الفلسفة اليونانية فيه .

و يميل بعض المؤرخين النصارى إلى أن هذا الإنجيل وضع لغرض خاص، وهدف مبيت، وهو إعلان ألوهية المسيح، وقد صرح علماء اللاهوت بهذا، يقول جرجس زوين اللبناني : "كانوا – رجال الكنيسة الأوائل – يرون أن المسيح ليس إنسانا، وأنه لم يكن قبل أمه مريم فلذلك في سنة 96 م إجتمع عموم أساقفة آسيا وغيرهم عند يوحنا والتمسوا منه أن يكتب عن المسيح، وينادي بإنجيل مما يكتبه الإنجيليون الآخرون، وأن يكتب بنوع خصوصي لاهون المسيحويؤكد هذا أيضا ما ذكره يوسف الدبسي الخوري في مقدمة تفسيره لهذا الإنجيل بأن يوحنا صنّف إنجيله في آخر حياته بطلب من أساقفة آسيا، والسبب أنه كانت هناك فرق كثيرة تنكر ألوهية المسيح، فطلبوا منه إثباته ، وهذا معناه :

1- الاعتراف الضمني بأن هناك أثرا خارجيا أدى إلي تدوين هذا الإنجيل.

2- القول بالإلوهية.

ولهذا اعتنت به الكنيسة فجعلته في أعلى مكانة من الأناجيل الأخرى واختلف النصارى حول تاريخ تدوينه وكتابته، وذكروا تواريخ كثيرة .

ثانيا/ عقائد المسيحية:

1-ألوهمية المسيح :

إن أخطر ما في العقيدة المسيحية اليوم، يتمثل في عقيدة تأليه المسيح، وقد استند النصارى إلى نصوص وردت في الأناجيل الأربعة وصفت المسيح بالابن، والإله بالأب، مما أدى إلى الاعتقاد بوجود صلة قرابة ونسب مادي وروحي بينهما، مما جعل الابن يرتقي إلى درجة الألوهية، ويساوي الأب في كل الصفات الإلهية، ومن هذه النصوص على سيل المثال :

ما ذكر متى من قول بطرس للمسيح : " أنت هو المسيح ابن الله الحي ".

و ما أشار إليه مرقص إجابة على السؤال الذي طرحه رئيس الكهنة على المسيح : " قال له : أنت المسيح ابن المبارك، فقال يسوع أنا هو، وسوف تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة، وآتيا في سحابة السماء ".

2-عقيدة الصلب والفداء :

يعتقد المسيحيون أن نهاية حياة المسيح هي مفتاح رسالته، وجوهر دعوته، ويجمعون على أن موت المسيح على الصليب حقيقة لا خلاف عليها بينهم، بل هي المسألة الوحيدة التي التقوا عندها، فاتفقوا عليها، فقد أولوا من خاتمة حياته عقيدة ارتبطت بع (عليه السلام) تقوم على أساس العدل والرحمة، فبمقتضى صفى العدل كان على الله أن يعاقب البشر لأنهم يحملون جرائم الخطيئة الأولى ميراثا عن أبيهم آدم، الذي أغواه الشيطان فعصى ربه وأكل من الشجرة المحرمة، وطرد من الجنة، فزعموا بأنه استحق هو وأبناؤه البعد عن الله بسببها، وبمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يغفر سيئات البشر، ولم يكن هناك من طريق للجمع بين العدل والرحمة – حسب اعتقادهم – إلا بتوسط ابن الله، ووحيده، وقبوله أن يعيش مع الناس، ثم يصلب ظلما ليكفر عن خطيئة البشر، كما يقول القس إبراهيم لوقا : " إن المسيحيين تعلم أن الله لكي يجمع بين عدله، ورحمته في تصرفه مع الإنسان عقب سقوطه، دبر طريقة فدائه بتجسيد ابنه الحبيب، وموته على الصليب، نيابة عنا، وبهذا أخذ العدل حقه، واكتملت الرحمة فقال البشر العفو والغفران، وهذه هي نظرية الفداء ".

و قد أقام علماء النصرانية هذه العقيدة على تصورات ذهنية اتسع لها التأويل والتخ... للكتاب المقدس، فبالغوا كثيرا حتى انتهوا بالمسيح إلى مقام الله، وهذه بعض الأدلة التي أوردها علماؤهم من الأناجيل للتعليل على هذه العقيدة جاء في يوحنا : " لأنه هكذا أحب... العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية، لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم ".

إن نهاية المسيح المفجعة كانت نقطة الانطلاق لعملية تأويلية ارتبط بها الاعتقاد في إلوهية المسيح، وفي علاقته الخاصة بالله، ووجد هذا الإيمان صيغته النهائية في دستور نيقية الذي نص على أنه " من أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد في روح القدس، ومن مريم البتول صار إنسانا، وأخذ وصلب ... ومات ودفن وقام في اليوم الثالث كما هو مكتوب، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للملجئ تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء".

إن العقول السليمة تنكر هذه العقيدة ولا تقربها، فكيف للنصارى القول بأن المسيح اله، وكيف يقتل ويصلب جهارا، لتغفير ذنوبهم ؟ وما الحكمة من أن الله فرض على الناس طاعته وعبادته والولاء له ؟ وما الفائدة من وجود الأنبياء والرسل الذين سبقوا المسيح ؟

و لذلك فإن عبد الأحد داود القس المسيحي الذي أسلم ينتقد قصة التكفير هذه انتقادا عقليا سليما فيقول : " إن من العجيب أن يتعقد المسيحيون أن هذا السر اللاهوتي وهو خطيئة آدم، وغضب الله على الجنس البشري بسببها ظل مكتوما عن كل الأنبياء السابقين ولم تكتشفه إلا الكنيسة بعد حادثة الصلب " .

أما السؤال الذي لم يجد له النصارى الإجابة المقنعة، لماذا هذا الوقت بالذات عصر المسيح ؟ أما كان الأولى أن يكون ذلك منذ كان لآدم أولاد حتى يكون للخلاص معنى ؟ وحتى يتوالد الناس وقد تخلصوا من الخطيئة ؟ ولما ترك الله البشرية تتوالد تحت ظلال الخطيئة حتى اللحظة الأخيرة من حياة المسيح ؟ ولماذا لم يبشر بالإنجيل في العصور القديمة لجميع البشر ؟

لم يجد النصارى إجابة عن هذه الأسئلة المحرجة، لذلك أجمع علمائهم بأن القضية إيمانية قلبية، ولا شأن للعقل في مثل هذه القضايا الوجدانية.

المراجع:

رحمة الله خليل الرحمن الهندي ، إظهار الحق ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مكيتة الثقافة الدينية 1986 م

زكى شنودة، موسوعة تاريخ الأقباط ، الطبعة الثانية القاهرة ،

1 ARDANT / FAYARD , NOUVELLE ENCYCLOPEDIE PARIS : EDITIONS DROGUET " THEO "CATHOLIQUE

عبد الوهاب عبد السلام طويلة، الكتب المقدسة في ميزان التوثيق ، ط1(المدينة المنورة ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، 1990م)

فتحي عثمان ، مع المسيح في الأناجيل الأربعة . القاهرة ، مكتبة

و موريس بوكاي ، التوراة و الإنجيل و القرآن و العلم ، ترجمة نخبة من الدعاة ، ط 2 (بيروت : دار الكندي ،

أبو حامد الغزالي ، الرد الجميل على إلوهية المسيح ، تحقيق محمد عبد الله الشرقاوي ، الطبعة الثانية . القاهرة : دار الهداية ، 1986

عبد المجيد شرقي ، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع / العاشر. تونس : الدار التونسية للنشر ، 1986 م

وبالله التوفيق